خصائص الفكر الديني اليهودي

(دراسة تفصيلية)

للدكتور

أحمد إسماعيل أحمد أبو شنب
مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية بالكلية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً . ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً . فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما) .

[النساء : ١٥٣ : ١٥٦]

المقدمـــة

الحمد لله وحده المتفرد بالجلال والكمال، الواحد الأحد، الفرد الصمد الذي ليس كمثله شئ، وهو السميع البصير ، والصلاة والسلام على سائر أنبيائه ورسله الذين نزههم عن سفاهات خلقه وسقطات الساقطين ، وسفاهات السفهاء والكاذبين ، وطعنات المنحرفين والمشككين ، ومروقات المارقين الغادرين .

هؤلاء الأنبياء الذين أرسوا أصول وقواعد الدين الحق ، وبنوا فأحسنوا لله تعالى البناء ، وأدوا فأحسنوا عن الله تعالى الأداء ، فتحققوا بالصدق والأمانة ، وتنزهوا عن الكذب والخيانة، وتحققوا بالكمالات والفضائل ، وتنزهوا عن النقائص والرذائل ، صاغهم الله تعالى بيده وصنعهم لنفسه وعلى عينه سبحانه تنزه عن المشابهة والمناظرة ، والكذبات والمهاترة . إنه أهل لذلك وبه أحق وأعظم .

وبعد :

فإن الفكر الديني اليهودي كان أحد أبرز التيارات الفكرية التي سادت في العالم في القديم والحديث باعتباره فكرا قوميا عنصريا يمتاز بجنسيته أو هويته اليهودية .

مثلما كانت النظرة إلى الدين اليهودي من باب إطلاق الصفة على الفرع المتولد من أصل ، فقد كانت اليهودية كدين تمتاز بهذه النظرة ، ومن ثم غايرت غيرها من الأديان في القديم والحديث .

كما كان الفكر اليهودي – مثلما كانت – محوراً من المحاور الرئيسة أو قضية من القضايا الكبرى التي قام عليها علم مقارنة الأديان – إلى جانب غيرها من الأديان كالنصرانية والإسلام – وبالإضافة إلى ذلك الأديان الوضعية .

فقد كان الفكر اليهودي ثريا بالمادة العلمية التي أغرت علماء الأديان ، وأشبعت نَهَمهم النقدي ، وأرّوت ظمأهم العقلي ، وقد أثرى العهدُ القديم والتلمودُ هذا العلمَ فكان الرافد الذي يمُد العلماء بكل ما يطمحون إليه أو يضطلعون به من مهام شاقة في مقارنات الأفكار والعقائد والتمييز بينها .

إنها أشبعت في المتفلسف نزواتِه الفلسفية ، وفي العقلاني جموحَه إلى الواقعية ، وفي المادي تحاكمَه للمادة ، وفي التجريبي رؤاه ونظراتِه التجريبية ، وفي النفساني إجراءاتِه وتحليلاتِه النفسية .

وانطلقت كل هذه الشرائح أو الاتجاهاتُ الفكريةُ، لتمثلَ مناهج للنقد الموضوعي للأديان من خلال المقارنات والمناظرات ، وقد وجد رواد كلِّ اتجاه في الفكر الديني اليهودي ضالتهم المنشودة ، فقد كان غنيا بمثارات النقد اللاذع في مسائله العقدية والتشريعية على حد سواء وإن كانت مسائل العقيدة هي محوره الأساسي ومنطلقه الأول .

فقد كان هذا الفكر بوتقة انصهرت فيها كل العقائد السائدة آنذاك بفعل المؤثرات البيئية من جهة ، والمؤثرات السياسية من جهة أخرى، والتركيبات النفسية لليهود من جهة ثالثة .

فالأساطيرُ تجد إليها طريقا واسعا مفتوحا خاليا من العقبات أو المعوقات لتنصهر فيها ، وتشكل أطرها ومظاهرها .

واستهوت **الخرافاتِ** قضاياها الكبرى فوجدت بذلك العقائد البدائية منفذا قويا إليها ، ولائمت فيها تربة خصبة نمت فيها وترعرعت ، ووقعت على موضع للضعف فيها فاستقرت .

كما وجدت **الوثنية** فيها جوًّا رائجا فاستحوذت على مساحات شاسعة من قضاياها الفكرية والعقدية وأروت نهم اليهود وتطلعاتهم الوثنية التي ألفوا عبادتها وتشبعوا بها منذ القدم .

ولم تكن الـ " **إثنينيَّة** " [١] لتحلم بوسط تتسامى فيه وترقى كما وجدت في اليهودية التي أخذت تضفي على الإله طبائع مختلفة نجدها عند التحقيق مظهرا من مظاهرها وسمة من سماتها .

فكان الإله فيها قيد وصفين يضاهي كل منهما – تقريبا – أحد إلهي " **الإثنينية** " فكان " **يَهْوَه** " المسمى عندهم "رب الجنود" والذي ظهر في عهد موسى ، وكان " **إِلُوهِيم** " الإطلاق القديم ، وكل من الإطلاقين له سماته الخاصة وطبائعه المختلفة .

---

(١) القول بإلهين : إله للنور وإله للظلمة ، أو إله للخير وإله للشر وهذه عقيدة الزرادشتية.

وبالرغم من أن كثيرا من النقاد يعتبرونهما اسمين لا أكثر ، فإن البعض الآخر – وأنا من بينهم – يقف منهما موقف الشاك والحائر .

ولكنك ستجد من خلال بعض الشروح أنهما أكثر من أن يكونا اسمين لإله واحد ، إنما هما مظهران أو طبيعتان أو على الأقل حالتان له !!!

ولم تجد نظريات **التطور** [١] دينا يؤيدها في معطياتها ومقدماتها ونتائجها كاليهودية بعد تحريفها ، فلقد مرت عقيدة " الإله " فيها بمراحل متعددة حتى تسامت إلى الوحدانية ، لكنها ظلت وحدانية قومية ، أو – بالأحرى – ظلت واحدية لا أحدية [*] ، فقد رُكِّبَ الإله فيها من أجزاء مما فتح فيها القول بالتجسيم والتشبيه .

كما أن الإله فيها تعدى مرحلة "الإقليمية" إلى "الشعبية" إلى "العالمية" ، ولكن "العالمية" المشروطة بالظهور والمجاهرة أو المعاينة ومن مظاهرها المؤاكلة والجلوس والقعود والمحاربة من أجل الشعب وحتى دفن العظماء !! والندم والبكاء !!!

إن الإله فيها يُجَابِه آلهةً سادت إلى جانبه .. ويقاوم التحديات.. ويعاني المشكلات .. ويتصارع مع الأضداد من أجل السيادة والبقاء !

---

(١) التطور ليس في الدين وإنما في التدين ، وقد يطلق على الدين الوضعي حقيقة لكنه لا يطلق على الدين الإلهي لأنه مرسل به من الله تعالى كامل الأصول والأركان والقواعد . وسوف نوضح هذا بمشيئته تعالى في الفصل السابع . وممن ناقش هذه القضية د. محمد عبد الرحمن بيصار في كتابه العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ص ١٥ وما بعدها المطبعة الفنية الحديثة ط (٤) ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م . ود. يحيى هاشم في كتابه الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة دار المعارف ١٩٨٤.

(*) الواحدية : مؤلفة من أجزاء أما الأحدية فلا تتألف من أجزاء .

فأشباح البطولة والخرافة تطل على الفكر اليهودي من نوافذ الأساطير العاتية ..

وقد ظهرت النبوة في دائرتها متداعية واهية ، ووُصِم الأنبياء فيها بوصمات الخزي والعار .. إنهم – في منظورها – زناة ، وسكيرين ، ووثنيين ، ومخادعين !!! – حاشاهم .

ولو طالعت العهد القديم والتلمود لن تجد نبياً من أنبياء بني إسرائيل سَلِم من الاتهام حتى إسرائيل ذاته (يعقوب عليه السلام) لم يسلم من الاتهام بالزنا !! وهذا سيتضح في ثنايا البحث .

إنها جرائم بشعة في حق الأنبياء لا تقل عن القتل طعناً بالرمح أو السيف !!

لقد أذرت بعصمة الأنبياء – عليهم السلام – وجعلتهم كما لو كانوا سوقة في خمارة أو في زقاق يلوح منه الفساد !! حاشا لله تعالى القائل في حقهم مؤكداً عصمتهم : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) [١] (اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) [٢] .

أَوَ يجعلها بعد هذا فيمن هذه صفاتهم وهذا مآلهم ؟!!

وما فائدة النبوة إذن وقد صارت بهذا فكرة يتسامى إليها الأطهار والأخباث ، ويتطلع إليها الأخيار والأشرار ؟ !!

---

[١] الحج : ٧٥ .
[٢] الأنعام : ١٢٤

فقد كانت كل هذه الرؤى والتصورات اليهودية التي شكلت الفكر اليهودي عبر مراحل تطوره التي مر بها مادة علمية أثرت علم مقارنة الأديان .. وكانت مادة ثرية لكل التخصصات العلمية ، فمن أراد أن يدرس التركيبة الدينية والنفسية والسياسية والاجتماعية والعقلانية لليهود سيجد معيناً لا ينضب ، ويجد عطاء مستمراً للنقد لا ينفد وإرواءًا لنهم النقاد وتطلعاتهم النقدية في سائر التخصصات .

موضوع البحث :

على أن موضوع هذا البحث لن يدور حول موضوعات الفكر الديني اليهودي أو قضاياه ، فهذه قضية أغناها الباحثون وعلماء مقارنة الأديان بالرؤى والتصورات النقدية التي ميزت الصحيح من الخاطئ والغث من السمين ، وبينت مدى انحراف اليهود وتخبطهم في دينهم .

وإنما يدور حول الخصائص العامة التي شكلت هذا الفكر اليهودي وأثرت تأثيراً مباشراً في معالمه واتجاهاته .

تلك الخصائص التي جعلت عقيدة " **الألوهية** " تتسامى وتهبط .. تتقلب بين المتناقضات .. تتصارع مع الأغيار .. تغرق في الأسطورة وتهوي في مآسن الخرافات .. تتشكل بميولات نفسية ، وتخضع للرغبات والنزعات البشرية .. تتردد بين إخضاع الألوهية للإنسان .

واخضاع الإنسان للألوهية ، تتذبذب بين الله حسبه ، الإثنينية ثم ترقى إلى أحدية او واحدية قومية !!!!

تلك الخصائص التي جعلت " النبوة " تتسامى ثم تهبط في درك البهيمية ومثالب البشرية !!

تلك الخصائص التي انحرفت بديانة نبي الله موسى عليه السلام وآلت بها إلى هذا المآل الخطير ، فديانة موسى عليه السلام كانت ديانة تدعو إلى التوحيد الحق ، والتنزيه المطلق لله تعالى ، والكمال الواجب للأنبياء عليهم السلام ، والشريعة السمحة التي تقوم على أساس التقوى والعمل الصالح لا على أساس نعرة عرقية أو نزعة جنسية ، أو صبغة لونية شأن كل الرسالات الإلهية .

وهذه سمات الكمال الواجبة شرعاً وعقلاً لديانة الأنبياء والمرسلين .. إنهم أمناء الله تعالى على وحيه ، والنائبين عنه تعالى في أرضه ، والمستخلفين منه تعالى على دينه ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

منهجي في البحث :

وقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج الرياضي الذي يعتمد على عمليتي التحليل والتركيب اللازمتين للاستنتاج العقلي ، وبناء المقدمات العقلية التي توصلنا إلى نتائج علمية يقينية ثم ترتيب القضايا الكلية على القضايا الجزئية .

ولم يكن لي مفر من الاعتماد على بعض مناهج البحث العلمي الأخرى كالمنهج الاستردادي أو المنهج التاريخي الذي يمكن الباحث من استقاء النصوص من مصادرها ، وصحة التوثيق لما لها من أثر كبير في انضباطية البحث العلمي .

ومن خلال هذين المنهجين حاولت قدر جهدي التأصيل لخصائص الفكر الديني اليهودي أولاً ، لإثباتها كقضايا مسلم بها بالأدلة النصية والبراهين العقلية ، ثم نقدها وبيان أثرها في تشكيل هذا الفكر وتركيبه ثانياً .

وقد اتبعت في هذا عدة قواعد لا يمكن لباحث الاستغناء عنها منها ما يلي :

(١) الاعتماد على مصادر اليهود الدينية وخاصة العهد القديم ثم على فقرات التلمود التي تناقلها العلماء ، لانتزاع الأدلة منها .

(٢) الاعتماد على آراء علماء أهل الكتاب ، وتقديم رؤى النقد اللاهوتية[١] ليكون أقوى في الرد وأمعن في الحجة ، فقد تمكنت بهذا من رد الفكرة بالفكرة،ودمغ الحجة بالحجة من ذات الوسط التي نشأت فيه الأفكار وفيه نقدت ، من باب (وشَهِد شاهدٌ من أهلها) .

---

(١) اللاهوت : الفكر الديني الكتابي (اليهودي والنصراني) .

(٣) الاعتماد على القرآن الكريم باعتباره الكتـــاب المـــهيمن والمصحح لسائر الكتب والمتضمن العقائد الحقة والأصـــول العقديـــة والتشريعية السليمة لديانة أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام .

(٤) الاعتماد على آراء وتصورات نقـــاد علمـــاء مقارنـــة الأديان من المسلمين القدامى والمعاصرين للجمع بيـــن " **الأصالـــة** " و" **المعاصرة** " إيماناً منا بأنه لا سبيل إلى إثراء هذا البحث إلا باتبـــاع هذه القواعد المنهجية

ويشتمل هذا البحث على ما يلي :

أولاً : التمهيد وقد عرَّفت فيه بمفردات البحث

ثانياً : الموضوع . ويشتمل على سبعة فصول وخاتمة .

أما موضوعه فكان على النحو التالي :

= الفصل الأول : خصيصة قابلية الفكر الديني اليهودي للتأثر .

= الفصل الثاني : خصيصة العنصرية .

= الفصل الثالث : خصيصة الماديـــة .

= الفصل الرابع : خصيصة الأسطورية .

= الفصل الخامس : خصيصة السادية والسيكوباتية .

= الفصل السادس : خصيصة الاضطراب .

= الفصل السابع : خصيصة التطـــور .

= الفصل الثامن : خصيصة الحذس .

= الخاتمة : وبها النتائج التي توصلت إليها من البحث ، والتي تؤصـل لخصائص الفكر الديني اليهودي وتبين انحرافها .

فإذا كان لي من توفيق فمن الله تعالى بعطائه وسابغ فضلـــه ، وما كان من تقصير أو خطأ فمني وحسبي أنني انتويت الاجتهاد .

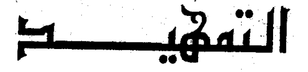
والله تعالى من وراء القصد وهو تعالى الـــهادي إلـــى ســـواء السبيل .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمـــد وســـائر الأنبيـــاء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه وزوجاته الطاهرات أمهات المؤمنيـــن ورضي الله تعالى عنهم أجمعين .

د. أحمد إسماعيل أحمد أبو شنب

شروق شمس يوم السبت الموافق ١٦/١٢/٢٠٠٠م.

٢٧ من رمضان ١٤٢١هـ


التمهيد

التعريف بمفردات البحث

أولاً : التعريف بالخصائص :

جاء في المعجم اللغوي : أن الخصيصة مأخوذة من مادة : (خ ص ص) يقال : [" **خص الشئ** " خصوصاً : نقيض عم ، وخص فلاناً أعطاه شيئاً كثيراً ، " **خِصِّيص** " آثره به على غيره ، ولنفسه : اختاره فهو خاص ." **أخصه بالشئ** " : خصه . وخص فلان فلاناً به : صار خاصاً به . " **تخصيص** " انفرد وصار خاصاً . و" تخصَّصَ به وله " : انفرد به . " **استخصَّه عاده خاصاً** "و " **خاصَّةُ الشئ**" ما يختص به دون غيره ." **الخِصِّيص** ": أخص من الخاص .

" **الخِصيَّة** " : الخاصة أو الخصيَّة .

" **خصوصية الشئ** " : خاصيته .

" **الخِصِّيصَةُ** " : الصفة التي تميز الشئ وتخصصه] (١).

من خلال هذا التعريف الاشتقاقي لمادة خصص ولفظة "خِصِّيصَة"نستطيع أن نعرف " **الخصيصة** " بأنها ما اختص به الشئ وانفرد به وميزه عن غيره ، فلكل شئ خصائصه أو خصيصاته التي تميزه وتصير عَلَماً عليه يعرف بها وتعرف به .

وخصائص الفكر الديني اليهودي ما يختص به أو ينفرد به أو يميزه من غيره بحيث تصير له خصائص يعرف بها ، وتدل عليه .

---

(١) المعجم الوسيط . المجمع اللغوي بالقاهرة [١ / ٢٣٨] مادة (خصص) .

ثانياً : التعريف بالفكر الديني :

أولاً : التعريف بالفكر :

جاء في المعجم اللغوي : [" **فكَرَ** " في الأمر – فِكْراً : أعمل العقل فيه ، ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول .

" **أفْكَر** " في الأمر : فكَر فيه . فهو مفْكِر .

" **فكَّر** " في الأمر : مبالغة في فَكَرَ ، وهو أشيع في الاستعمال من " فَكَرَ " : وفي المشكلة : أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها . فهو مفكِّر . وفكر فلاناً بالأمر : أخطره بباله .

" **التفكير** " : إعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها .

" **الفِكْر** " : إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول ، ويقال : لي في الأمر فِكْر : نظر وروِيَّة ، وما لي في الأمر فكر : ما لي فيه حاجة ولا مبالاة . والجمع أفكار .

" **الفِكْرَةُ** " : الفِكْر والصورة الذهنية لأمر ما والجمع فِكَر .

" **الفكِّير** " : الكثير التفكير .

" **المُفَكِّرة** " : دفتر صغير يقيَّد به ما يراد تذكره "] (١).

من خلال هذا يتبين أن مادة " فكر " واشتقاقاتها تدور حول ما يأتي :

١ – إعمال العقل .

---

(١) المرجع السابق ج ٢ مادة (ف ك ر) .

٢ - الصور الذهنية الناشئة عن التفكر .

٣ - التأمل في طبيعة الأشياء .

٤ - تقييد الأفكار .

وكل هذه العناصر لازمة لبيان معنى التفكير فهو إذن إعمال العقل في قضايا معينة للتوصل إلى صورة ذهنية كلية للأشياء ، ثم تقييدها وتعيينها .

__ثانياً : التعريف بالدين :__

جاء في المعنى الاشتقاقي لمادة (دَ يَ نَ) : [" **دان** " ديناً وديانة : خضع وذل ، وأطاع . ويقال : " **دان له** " وله منه : اقتص . " **ودان بكذا** " اتخذه دِيناً وتعبد به . ويقال : دان فلان نفسه : حمله على ما يكره ، وحاسبه وجازاه .

" **الدِّيانَة** " ما يتدين به الإنسان .

" **الدِّينُ** " : الديانة اسم لجميع ما يعبد به الله ، والملة ، والإسلام والاعتقاد بالجنان ، والإقرار باللسان ، وعمل الجوارح بالأركان .

" **الديَّان** " : اسم من أسماء الله تعالى ، ويطلق على القاضي والحاكم والمجازي بالخير والشر والحاسب والقهار "] [١].

---

[١] المرجع السابق [١ / ٣٠٧] .

ويدور هذا المعنى الاشتقاقي لمادة (دين) حول هذه المعاني .

١ - الخضوع والذل والطاعة .

٢ - ما يتعبد به من الدين .

٣ - ما يدين الإنسان به نفسه لمعبوده .

وبناء على هذا يكون الفكر الديني هو: التصورات الذهنية الناشئة عن إعمال العقل في قضايا الدين والتي تفضي إلى نتائج معينة .

التعريف ب : اليهودي :

جاء في التعريف الاشتقاقي لمادة " هـ وَ دَ " : [" هاد " هـوداً تاب ورجع إلى الحق . وفي التنزيل (إنا هدنا إليك [١]) فهو هائد والجمع " هُود " وفلان نشأ في اليهودية . وفي التنزيل : (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) [٢].

" **هَوَّد فلاناً** " : حوله إلى ملة اليهودية .

" **تَهَوَّد** " هاد وعمل صالحاً .

" **الهُود** " جمع الهائد واليهود . وفي التنزيل (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا) [٣]

" **اليهود** " قوم من أصل ساميّ . قيل : إنهم سموا لذلك باسم يـهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام .

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٦ .
(٢) الأنعام : ١٤٦ .
(٣) سورة البقرة : ١٣٥ .

" اليهودِيّ " واحد اليهودية ، والمنسوب إلى اليهود

" اليهودية " ملة اليهود "] (١).

ويدور هذا التعريف حول عدة معاني منها ما يلي :

١ – اتخاذ اليهودية ديناً أو ملة .

٢ – الرجوع إلى الحق .

ومعان أخـرى .

وبناء على هذا يكون تعريف الفكر الديني اليهودي " الصور الذهنية الناتجة عن إعمال العقل في قضايا الدين اليهودي " .

هل الدين يبنى على الأفكار ؟

إن الدين لا يبنى على أفكار الأنبياء والمرسلين . فضلاً عن أفكار الفلاسفة والمصلحين . وإنما يأتي وحياً من الله تعالى لأن مصدره هو الإله الحق ، وليس العقل .

ودليل هذا قول الله تعالى : (إنا أوحينا إليك وإلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً . ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عَلَيْكَ وكَلَّم اللهُ موسَى تكليماً) (٢)...

---

(١) المعجم الوسيط [٢ / ٩٩٨] مادة (هـ و د) .

(٢) النساء : ١٦٢ ، ١٦٣ .

إلى قوله تعالى :

(لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) [١] .

فهذا دليل على أن الدين مصدره الوحي الشريف من الله تعالى إلى أنبيائه ورسله وليس العقل ، ومعروف أن السنة إلهية المعنى بشرية اللفظ فهي معنى من الله تعالى ولفظاً من الرسول ﷺ.

إذن فالدين ليس مبنياً على قرائح العقول ، وإنما على الوحي الإلهي .

فلماذا إذن خصائص الفكر الديني اليهودي ؟

قلت خصائص الفكر الديني اليهودي لا خصائص الدين اليهودي لما رأيت أن العقول قد تدخلت في الدين اليهودي الموحى به بتصورات بدائية أو رؤى فلسفية تمت إلى عقائد وضعية تخللت الدين اليهودي وغلبت على قضاياه النصية فشوهته وانحرفت به عن الجادة وجعلتها خليطاً من الوثنيات والماديات، الأمر الذي جعل اليهودية غنية بالمتناقضات والمتضادات بناءًا على تغلغل العنصر البشري فيها .

ثم إن اليهودية قد أطلقت على ديانة نبي الله موسى ﷺ بعد موته لا في حياته .

ومن ثم فإننا احترزنا بهذا عن أن تنسحب هذه الخصائص على

---

(١) النساء : ١٦٥ .

الدين الذي جاء به موسى ﷺ ، وإن كان هذا جائزا لغويـــا إلا أننـــا نحتاط لتبادر الفهم إلى هذا الدين قبل تحريفه وتغييره وتبديله .

لماذا "خصائص" وليس "سمات" ؟

كان من الممكن أن يسمى عنوان البحـــث " **ســمات الفكــر الدينـــي اليهودي** " بدلاً من " **خصائص الفكر الديني اليهودي** " ، ولكني آثرت عنونته بالأخير (**خصائص**) لما يلي :

١- المعنى الاشتقاقي لمادة "وَسَمَ" في اللغة وخاصة لفظة (سِمَة) يميل إلى المدح بخلاف [١] المعنى الاشتقاقي لمادة خصص فـــهو لا يحمل مفهوم المدح أو الذم .

٢ – كل لفظة من اللفظتين " خصائص " و " سمات " تدل على تميز من لون خاص ، فالسمة هي العلامة التي يعرف بـــها الشـــئ ، والخَصِيصة هي ما يخص الشئ مما يميزه عن غـيره ، لكــن يبقـى معنى" الخصيصة" في دائرة أخص من"السمات" وأقـــوى فـــي التميـــيز والتعريف بماهية الشئ .

٣ – تبدو السمات متعلقة بالظواهر والســلوكيات لا بـــالجوهر الذي تختص بتمييزه الخصائص .

٤ – وبناءً على هذا يكون العنونة بهذا العنوان " سِمات الفكـــر الديني اليهودي " فيه لون من المدح أو مسحة منه ، وهذا ما يتناقــض

---

(١) راجع المعجم الوسيط ومختار الصِّحَاح مادة (خصص) و (وسم) .

مع طبيعة الفكر الديني اليهودي التي تعبر عنها الخصائص تعبيرا دقيقا.

أما عنوان " خصائص الفكر الديني اليـــهودي " فـــهذه دراســـة مجـــردة لخصائص الدين اليهودي أو ما يميزه عن غيره من الأديان تكون مجـــردة من الأحكام المضمنة الإيجابية أو السلبية . ويبقى السياق ليحدد أيها مراد .

تنبيه :

على أنه قد نجد بعض هذه الخصائص تتوفر على النصرانية وهذا لا يقدح في خصوصية هذه الخصائص بالديانة اليهودية فهي الأسبق والنصرانيـــة مسبوقة والمسبوق يتأثر بسابقه ، فإن وجـــد فـــي النصرانيـــة خصيصـــة "الاضطراب"أو "الحدس"مثلا ، فهذا من باب التأثر بخصائص الفكر الدينـــي اليهودي ، وثابت تأثر النصرانية باليهودية،على أن تبقى هذه الخصـــائص أصيلة للفكر الديني اليهودي ، وهو تأثر لا يقدح في الخصوصية.

وهذا التنبيه درء للاشتباه ، ودفع للتداخل .

الدراسة النقدية :

وقد بينت معنى هذه الدراسة النقدية وقواعد المنـــهج النقـــدي فـــي ميزان النقد العلمي السديد في كتابي : منهج المستشرقين الاستدلالي دراسة نقدية (١) .

وعموما فإن النقد يعني تمييز الخبيث من الطيب والجيد من الـــوديء .. وبناءا على هذا فإننا سوف نبين الأباطيل والأغلاط والأســـاطير التـــي حوتها اليهودية المحرفة . **والله تعالى ولي التوفيق ،**

---

(١) **وهو منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة بطنطا عام ١٩٩٩م .**

الفصل الأول

خصيصة قابلية التأثر

خصيصة قابلية التأثر

خصيصة " **قابلية التأثر** " واحدة من أهم الخصائص التي اختص بها الفكر الديني اليهودي ، ولم تخل منها عمليات التفكير العقلي والتي بدت ملامحه واضحة في النص الديني عند اليهود حتى في كتبهم المقدسة .

على أننا نجد عند التأمل الفاحص والنظر الثاقب أن هذا النص الديني (مصدر اليهودية) يمثل في كثير من الأحيان انعكاسات واضحة وقوية لعمليات تفكير متعددة تنتظم في أحيان وتضطرب في أخرى ... على أن هذا التفكير قد يأتي على صوتين :

[أ] التفكير الذاتي .

[ب] التفكير غير الذاتي .

ويقصد به هنا " التأثر " والذي يصل في كثير من الأحيان إلى درجة ليس فقط الاندماج في الأفكار الفلسفية والرؤى والتصورات العقلية والديانات والمعتقدات الوضعية ، وإنما الانصهار والذوبان في تلك الثقافات ، بل ربما تبدو ملامح هذه الثقافات الدينية بصورة طاغية في الفكر الديني اليهودي حتى أصبح من الصعب فصلها عن أخص قضاياه ، وهي القضايا العقدية والتشريعية .

إن هذا التأثر يبدي بصورة كبيرة ، وبشكل قاطع نهم العقلية اليهودية إلى التأثر بالفكر المغاير رغم ما تزعمه من الانغلاق الديني أو " **التفوق** " الديني على سائر الشعوب والأمم والديانات .

كما يبدي مدى استكانة الفكر الديني اليهودي ، وخضوعه بل وخنوعه لفلسفات مادية ووثنية متعددة في طور تكوينه [١] أو في طور نموه وتضخمه [٢] .

ويرجع هذا في تصوري إلى عدة أمور من أهمها ما يلي :

(١) فقدان النص قيمته الدينية الإلهية عن طريق عمليات التحريف والتبديل والتغيير المتعمدة والتي أفقدته المصداقية ، والقدرة على التأثير والاحتواء .

(٢) ما ترتب على هذا من إحداث فراغ قوي في ميادين الفكر اليهودي بين العقلية اليهودية ومصادر اليهودية الدينية ، مما مهد التربة اليهودية لأن تكون وسطاً ملائماً لنمو الأفكار والفلسفات والتصورات المغايرة ، حتى ولو كانت وثنية !!

(٣) فتور الحس الديني اليهودي ، والخضوع للاتجاه المادي الجارف في النفسية أو " **التركيبة** " اليهودية ، والذي يمثل قوة ضغط داخلية على العقلية اليهودية للارتماء في أحضان الثقافات

---

(١) وتقتصر هذه المرحلة على العهد القديم وخاصة الأسفار الخمسة : التكوين ، والخروج ، والعدد ، والتثنية ، واللاويين وسائر أسفار العهد القديم .
(٢) بينما تقتصر هذه المرحلة على التلمود .

والديانات الوضعيه .

وهذا الأمر ناشئ عن سابقيْه .

(٤) اعتياد اليهود المروق من الدين والتمرد على الأنبياء والمرسلين الأمر الذي دفعهم إلى البحث عن ثقافات مغايرة للاعتياض بها عن الدين الحق إذ لم يستطيعوا أن يستأصلوا صوت الفطرة الداخلي والذي يضطرهم إلى التدين وإن أخبتوا صوت الدين الحق !!

(٥) ذيوع تجربة التلقيح بين المعتقدات الدينية في البيئات المجاورة لليهود والتي كان لهم بها اتصال قوي ، الأمر الذي حدا بهم إلى أن يخطو في التأثر بالأفكار المغايرة نفس الخطى ، ويتجهوا نفس الاتجاه [٢] .

وهذه الأمور من أهم عوامل التأثر اليهودي في محيط الأفكار الدينية والتي ميزت الفكر اليهودي بخصائص أوهت قيمته الدينية وأذرت بقيمته المصدرية حيث بدت فيها بوضوح ملامح الفكر البشري التي غيرت مجراها ، وأضفت عليها طابعاً خاصاً فتق قيودها ، وأخل بضوابطها لكي تستوعب كل مظاهر التأثر . والتي نبينها فيما يلي :

---

(١) وسوف نتحدث عن هذه الخصيصة فيما بعد بمشيئة الله تعالى .
(٢) وسوف نبين هذا فيما بعد على وجه التفصيل .

وإذا ذهبنا لنتناول الفكر اليهودي بتؤدة وروِيَّة ، وبصر نافذ سوف لا نجد صعوبة في إبراز مظاهر التأثر بالأفكار المغايرة في نطاق التفكير الديني من أهمها ما يلي :

أ – تصور الإله [١]

ب – عقيدة المُخلِّص .

أولاً : تصور الإله :

لقد أخفق الفكر الديني اليهودي إخفاقاً كبيراً في محاولة وضع تصور معين للإله في نتاجهم الديني ، ولم يستطيعوا مجرد الإعلاء من هذه النزعة المتدنية في التصور الديني ، فضلاً عن التنزيه والتقديس ..

ونلمس هذا بوضوح عندما نطالع سفر التكوين (من أسفار العهد القديم) ... ونتفحص محاولات تقديمه لتصورات معينة عن الإله من خلال موقفه من معصية نبيه آدم عليه السلام في قصة الخلق والذي بدا فيه عاجزاً عن إدراك الجزئيات ، ومشاهدة الواقع .

---

(١) قد لا يروق البعض هذا التعبير لأنه يوهم وضع تصورات معينة ومحددة للذات الإلهية والله تعالى منزه عن هذا ، ونحن معهم في هذا .. بيد أننا وبتعبير أدق " ننحت " صورة واقعية من الفكر اليهودي ، لأنه حاول وضع تصورات معينة للإله ، وقد تخطى بذلك حدود المعقول وأقحم الإله في دائرة ما كان له أن يقحم فيها ، فأضفى بذلك عليه هالات من التجسيد والتشبيه ، ووصفوه بصفات البشر الدنيا .. كالجهل والأثرة والأنانية ... تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

فالإله في النص الديني يتسم بهذه السمات :

١ – الجهل : لأنه لم يعرف مكان آدم عندما اختبأ منه في الجنة وسط الشجر .

٢ – عدم إحاطته بدقائق ما يصدر عن خلقه ، وأنه لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، وإذا علمه فمن باب العلم بالكليات فقط ، بل إن علمه بها يأتي على نحو غامض إن لم يكن ناقصا .

٣ – إنه يسأل المخلوق (آدم) عن أمور لا يعرفها (أين أنت يا آدم) ؟! ويرد آدم (اختبأت منك لأني عريان) ؟!! .

٤ – أن علم الإله نشأ عن أكله من شجرة المعرفة التي حرم على آدم الأكل منها حتى لا يعرف مثله !!! ولكنه عرف بالأكل منها ، فاحتال الرب وأخرجه من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة فيخلد إلى الأبد فالرب يغرر بالمخلوق ويخدعه ، بل ويكذب عليه ويحتال ، ويقيم حراسة مشددة على الشجرة (شجرة الحياة) خوفا من أن يأكل منها آدم فيصير مثله باقيا مخلدا !!!!

إن علمه إذن ، ووفق المنظور اليهودي مقيد ناقص ، وحياته بل خلوده وبقاؤه مرهون بأكله من شجرة !!

إنه إعلاء من قيمة المخلوق على الخالق ، وإيهام بأن هاتين الشجرتين المزعومتين شجرة المعرفة وشجرة الخلد تساويا في بقائهما

وخلودهما بقاء الإله ، بل إنهما أبقى و أخلد ، لأنها هي التي منحته البقاء والخلود والعلم والمعرفة . ولا يجوز عقلا أن من يمنح ذلك يموت قبل الممنوح له ، بل إنه قد يفنى الممنوح له ، ولا يفنى هو لأنه أبقى منه وأخلد !!!

ونص هذا الشاهد من سفر التكوين :

(وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة فنادى الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها ؟! فقال آدم المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت ، فقال الرب الإله للمرأة ما هذا الذي فعلت ؟ فقالت : الحية أغرتني فأكلت ....

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها ، فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة) [1] .

---

[1] الكتاب المقدس سفر التكوين : الإصحاح الثالث فقرات ٨ – ١٤ ، ٢٢- ٢٤ بدون تاريخ وراجع أيضا سفر التكوين من التوراة السامرية الإصحاح الثالث نفس الفقرات ص ٣٨ ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن إسحق الصوري نشر وتعليق د. أحمد حجازي السقا دار الأنصار ط أولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .

وعندما نتأمل هذا النص نجده ينطق بالشواهد التي تؤكد مثارات النقد التي أبديناها قبل سوق النص ، والتي مثلت انتهاكا صارخا لحقوق الإله ، في الفكر اليهودي، وشككت في إمكانية تفاعله مع الحياة ومعالجته لمشكلات مخلوقاته ، بل إنها أيقنت عجزا واضحا في طبيعة التصور اليهودي حيث جعلت الإله معزولا تماما عن العالم.

وهذا التصوير الهابط للإله هو الذي حمل بعض النقاد إلى القول بأن العهد القديم : (يقدم إلها يقف خارج العالم الذي خلقه يواجهه لكنه لا يخترقه) (١) .

كيف يكون إلها من يعجز عن منع مخلوقاته من أن يساووه في المعرفة والعلم ؟! وقد اعترف الإله – عندهم – بأن آدم صار " كواحد منا " عارفا الخير والشر !! إن هذا التصور يخلع على المخلوق صفات الإله ، ويخلع على الإله صفات المخلوق .. ولا أرى آدم عليه السلام في التصور اليهودي إلا إلها وصفاته هي الأجدر بأن تحققه بذلك وتجعله ينازع الإله في أخص صفاته !!!

تعالى الله عما يقولون علوا كبيراً .

واقرأ نص سفر التكوين مرة ثانية ستجد هذا بوضوح . وستجد أن شجرتي المعرفة والحياة هما اللتان شكلتا صفات الإله اليهودي على

---

(١) مقال بعنوان اختلاق الإله اليهودي . عبد الهادي عبد الرحمن . مجلة العصور الجديدة ص ٤٤ تصدر عن العصور الجديدة للنشر والتوزيع ديسمبر ١٩٩٩م .

نحو قاطع ، وأنهما من الممكن أن تشكلا صفات إله آخر يغاير أو يساوي هذا الإله إذا أكل منهما!!!

وهذا ما حمل الإمام ابن حزم على القول بأن التوراة ادعت أن آدم إله من الآلهة . وقال : (حكايتهم عن الله تعالى أنه قال هذا آدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد أدى هذا القول المفتري كثيرا من خواص اليهود إلى الاعتقاد بأن الذي خلق آدم لم يكن إلا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم ، وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعرف الخير والشر ، ثم أكل من شجرة الحياة فصار إلها من جملة الآلهة) (١) .

إذن فبإمكان أي مخلوق يأكل من هاتين الشجرتين أن يصير إلها !!

وهكذا تتسع دائرة الألوهية في الفكر اليهودي لتشمل إمكان الترقي إلى درجة الألوهية بمعاندة الإله والأكل من الشجرة ، كما تشمل إمكانية إدخال بشر في هذه الدائرة بالإذن الإلهي !!!

وسفر الخروج ينص صراحة على أن الله جعل موسى إلها لفرعون !!! فقد جاء فيه : (فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلها لفرعون ، وهرون أخوك يكون نبيك) (٢) !!

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابن حزم الظاهري . تحقيق د. عبد الرحمن عميرة [١ / ٢٠٧] دار الجيل . بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٢) سفر الخروج من الكتاب المقدس : إصحاح ٧ ، فقرة : ١ مرجع سابق . وقارن هذا النص من نفس السفر ونفس الإصحاح والفقرة من التوراة السامرية ستجد ما يناقضه : (وقال الله لموسى انظر جعلتك سلطانا على فرعون . وهارون أخوك يكون منبياعتك) ولكن هؤلاء ==

وهذه التعددية المتأصلة في الفكر اليهودي إنما نشأت عن تأثر واضح بالفكر العقدي التعددي الوثني في الأديان الوضعية السائدة آنذاك .

وهذا ما يمكن أن يفسر في ضوئه تعدد إطلاقات الآلهة في الفكر اليهودي والمستند إلى نص مقدس – لديهم – إذ بينما تجد في نصوصهم القديمة إطلاق لفظة " **يهوه** [١] " على الإله تجد إطلاقاً آخر أقدم منه يطلق على الإله هو " **إلوهيم** " [٢] .

وإن كان ثمة تفسيرات معينة لهذه الإطلاقات إلا أنه يطفر على لساني من هنا ومن هناك عدة استفهامات وتعجبات :

فهل " **يهوه** " إله ذو طبيعة خاصة ؟

وهل " **إلوهيم** " أيضاً إله ذو طبيعة خاصة ؟!

أم هل هما إطلاقان لإله واحد يحمل كل منهما مدلولاً خاصاً لطبيعته بحيث يأتيان على نحو من التباين والتغاير فيكون الإله له طبيعتان تختص كل منهما بزمن معين أم أنهما متداخلتان ؟!!!

= الذين يؤمنون بالتوراة العبرية والتي تقرر نصاً ألوهية موسى لفرعون ، لايسمحون لصوت التوراة السامرية أن يعلو معالناً بنقض هذا النص ، وإثبات ما هو معقول بشأن رسالة موسى وهارون من أن الله بعث موسى عليه السلام نبياً إلى فرعون وأرسل هارون عليه السلام معه منبياً عنه ، وإن كانت الإنابة لدينا أعطته صفة التحقق بالنبوة أيضاً وهذا من مقررات العقيدة الإسلامية .

(١) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه . د. حسن ظاظا ص ٢٦، ٢٧ دار القلم بيروت . ط (٢) ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٢) المرجع السابق نفسه .

أم أن " يَهْوَه " فكرة متطورة عن " إلوهيم " ؟!

إن الإجابة على كل هذه الاستفهامات تتلخص في أن هذين الإطلاقين على الإله يدلان على ما يلي :

١- إما أنها تدل على "الإثنينية" في الفكر العقدي اليهودي .

٢- وإما أنها تدل على تباين وتغاير في متعلقات الإله حتى لو حملا على أنهما إطلاقان لذات واحدة ، وحتى هذا يجيز على الإله التغاير والتباين ، ولا أعتقد أن عاقلاً يجيز ذلك على إله يخضع له ويدين .

على أن ثمة تفسيرات لمفهوم الإله (يَهْوَه) تبين أنه يحمل فكرة "الإله القبلي"، وقد جاء في هذا (أرجع البعض " يَهْوَه " والذي أصبح " جُهوفاً " في التقليد المسيحي إلى جذوره " السينائية " أي أنه كان إلهاً قبلياً في الصحراء الشرقية المصرية وفي سيناء ، وسماه البعض إله " البراكين " والتسميات المسيحية بالإله الواحد ، أو المصرية القديمة " الذي لا اسم له " شائعة أيضاً ، أي أنه إله بلا جذور ، وإن كنا نرجح أنه مستعار من منطقتنا أيضاً) (١) .

على أن هذا الإطلاق (يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، ورواته كانوا من الجنوب ، مما كان يسمى مملكة يهوذا التي عاصمتها القدس " أورشليم ") (٢) .

---

(١) اختراع الإله اليهودي مجلة العصور الجديدة ص ٥٠ ، ٥١ مرجع سابق .
(٢) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه د. حسن ظاظا ص ٢٦ مرجع سابق .

أما لفظة " إلوهيم " (فتطلق على الله باسمه المنتشر في أسباط إسرائيل العشرة . ويرجع هذا إلى القرن الثامن قبل الميلاد) [١].

وعلى كل فإن هناك انقساماً واضحاً في المفهوم والتصور اليهودي للإله من خلال هذين الإطلاقين ، بل إن هناك من التفسيرات ما يقطع بتباين الإله (يَهْوه) عن الإله (إلوهيم) تبايناً واضحاً يجعل لكل منهما طبيعة خاصة ووظائف خاصة .

ولعلك تلمح معي هذا من خلال نص القاموس الموجز للكتاب المقدس في تفسيره لهاتين اللفظتين (أن الله ألوهيم هو الذي أمر نوحاً أن يصنع الفلك ويدخل الفلك ، لكن الرب (يهْوه) هو الذي أغلق عليه).[٢] !!

إنه ليس فقط تباين وإنما هو صراع واضح بين الإلٰهين يلغي أحدهما قرار الآخر ويتصارعان من أجل السيطرة والهيمنة . ولعل تصارع الآلهة فكرة كانت منتشرة آنذاك تأثر بها الفكر اليهودي في خضم موجات التأثر بالأديان والمعتقدات الوضعية السائدة في البيئات المجاورة .

على أن هناك من يذهب إلى أن هذا التعدد وإن كان ثابتاً وواضحاً في الفكر اليهودي من حيث أنه(أطلق تعبير الجمع " إلوهيم"

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧ . ويبدو أن هناك اختلافاً واضحاً في التاريخ بجعل هذا الإطلاق (ألوهيم) أقدم من " يهوه " وعلى كل فلن ينفي هنا الاشتباه ولن يدرأ سهام النقد .

(٢) القاموس الموجز للكتاب المقدس ص ٢٠ مكتبة كنيسة الأطوة ١٩٨٣ .

على الإله الواحد) إلا أنه ارتقى بعد ذلك عن طريق التجريد والإعلاء (فصار التعدد رمزا للتعظيم ، وغاير بذلك سمته الأساسية) (١) .

ولو أننا سلمنا بـهذا الإعـلاء ، وأن التعـدد صـار صـورة من صور التعظيم فلن يحل هذا لنا المشكلة ، بل يؤصل خطورتـها ، ويبين على اختلاف أطوار (٢) الفكر العقدي اليـهودي مـدى تـأثر العقلية اليهودية بالعقائد المغايرة ، ونمو العقائد اليهودية .

وهذا لن يزيل الاستفهام الذي يفرض نفسه هنا وبإلحاح : كيـف يكون التعدد صورة من صور التعظيم ؟!! وخاصة أن اليـهود كـانوا (يؤمنون بأن للشعوب آلهة ويؤمنون بوجودها لكنهم يحرمون عبادتـهم كتحريم الانتماء إلى دولة أجنبية) (٣) !!!!

بل إن المصدريْن القديمين لنص العهد القديم وهمـا (اليَـهْوَه والإلوهيمي لا يتحدثان إلا عن تفوق الإلـه العـبراني علـى الآلهـة الأخرى و " غيرته " منهم (سـفر الخـروج ٢٠ : ٢-٥) . وثمـة اعتراف بالإله كموش ، إله موآب (سـفر القضـاة ١١:٢٤ ، سـفر الملوك الثاني ٣: ٢٧) شأنه شأن (الآلهة الأخـرى) سفر الملوك

---

(١) كتاب : الله . أ. عباس محمـود العقـاد ص ٢٤ نـهضة مصر ضمـن سلسلة مكتبـة الأسرة ١٩٩٨م بتصرف شديد .
(٢) إن هذا التطور يمثل فقط تطوراً في الفكر العقدي اليـهودي وفـي أصول العقيـدة اليهوديـة وليس في أصل ديانة نبي الله موسى عليه السلام ، فقد جاء اليهودُ بالتوحيد الخـالص النقـي إلا أنهم أشابوه بطبعه بطابع خاص وأضفـوا عليـه خلفيـات قديمـة ومغـايرة . علـى أننـا لسنـا مـن أنصار نظرية تطور الأديان وخاصة الإلهية منها ، فالدين واحد وهذه الأطوار مظاهر انحراف .
(٣) المرجع السابق ص ٨٤ .

الأول ١١: ٣- ٨) [١] .

إنه إذن تعظيم ناقص ومشوه أو إنه الانتقاص في صورة التعظيم .

هذا وقد عمد اليهود – كما يرى ول ديورانت – (إلى أحد آلهة كنعان فصاغوه على الصورة التي كانوا هم عليها ، وجعلوا منه إلهًا : " الإله يَهْوه " ، فيهْوه ليس خالقهم ، وإنما مخلوق لهم ، وفي " يهوه " صفاتهم الحربية : التدمير والسرقة ، ويهوه قاس مدمر متعصب لشعبه لأنه ليس إله كل شعب ، بل إله بني إسرائيل فقط ، وهو عدو للآلهة الأخرى ، كما أن شعبه عدو للشعوب الأخرى) [٢] .

وهذا يعكس بصورة واضحة مدى تأثر الفكر اليهودي بالأفكار والمعتقدات السائدة في البيئات المجاورة [٣] كما تأثر بالفلسفات والرؤى والتصورات البشرية . بل ويعكس مدى تقبله للفكر الوثني المنحرف .

" فيهْوَه " يمثل إذن عندهم إله القوة والعنف والقهر والاستبداد ، إنها نفس النظرية السائدة قديما والتي كانت تجعل للآلهة اختصاصات معينة (فهناك آلهة للزراعة ، وإله للشمس) [٤] وبالمثل " فيهْوه " إله القوة !!!

---

(١) الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية : روجيه جارودي ترجمة محمد هشام . تقديم محمد حسين هيكل ص ٥٥ دار الشروق ط (١) ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
(٢) قصة الحضارة : ول ديورانت [٢ / ٣٤] .
(٣) كتاب الله : أ . عباس محمود العقاد ص ٨٨ مرجع سابق .
(٤) المسيحية نشأتها وتطورها شارل جينيبير : ترجمة د. عبد الحليم محمود ص ٩٣ دار المعارف ط (٣) ١٩٨٨م .

على أن ثمة تياراً قديماً سائداً (يعمل على المزج بين الأديان يعرف بـ " التأليف " الديني الشرقي إلى استخلاص بعض التصورات الهامة والشعائر الأساسية من ثنايا السيل الدافق لتفاصيل العقائد والطقوس التي تلاقت فيه وتفاعلت) (١) .

ووسط هذا "الزحام" العقائدي التعددي في الفكر الديني اليهودي لا ندري أي إله يدين به اليهود هل هو الله تعالى أم آدم ، أم المخلوق الإله الذي خلق آدم أم موسى الذي جعله إلهاً لفرعون – كما نص سفر الخروج – أم يهوه أم إلوهيم ؟!!!

إن هذه انتكاسة خطيرة في تاريخ التدين تفتقر افتقاراً شديداً إلى التجريد والإعلاء ، ولا يكون هذا إلا بتحاكمهما إلى الإسلام الذي فند تصورات اليهود للإله ، ونزهه عما لا يليق به .

ولن نستطرد أكثر من هذا في إظهار مدى قابلية الفكر الديني اليهودي للتأثر من خلال هذا المظهر الذي نحن بصدده ، وهو تصور الإله .

ولننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر هذا التأثر .

---

(١) نفس المرجع . على أن هذا الاتجاه هو الذي شكل الزرادشتية قديما والتي مثلت تاليفا كبيراً لديانات الهند القديمة المختلفة . راجع في هذا : الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها . د. حسين مؤنس ط (٢) ص ٢٦٦ عالم المعرفة جمادى الأولى ١٤١٩هـ / سبتمبر – أيلول ١٩٩٨م .

ثانياً : عقيدة المخلّص :

ومن المظاهر التي تؤكد تأثر الفكر اليهودي بالأديان المغايرة وقابليته للانصهار فيها والذوبان عقيدة " **المخلّص** " المنتظر (والتي كانت موجودة في الديانة الفارسية ... وكان البابليون يؤمنون بأن الإنسان تمرد على قسمة الموت وطمح إلى خلود كخلود الأرباب فبحث عن ثمرة البقاء في السماء وخدعه إله ماكر عن بغيته فناوله بديلا منها ثمرة تشبهها في ظاهرها ، ولكنها ثمرة الفناء ، وهي ثمرة الحب التي تعطي الفناء في صورة البقاء، وهذه في جملتها لا في تفصيلاتها قريبة من المأثورات الإسرائيلية في هذا الموضوع) (١).

وهذه إماءة من العقاد لها وجاهتها إلى أن عقيدة المخلص ربما استحدث عناصرها من الأفكار السائدة عند البابليين الذين يطمحون إلى "مخلّص " لهم من مكر إلههم المزعوم الذي حرمهم البقاء وكتب عليهم الفناء وإن لم تكن قد أخذت آنذاك نفس المصطلح إلا أن المفهوم واحد ، وثمة تطابق نُزُوعيّ بينهما يفسر التأثر ويؤكده .

على أن هذه العقيدة (المخلّص) كانت منتشرة بين الفارسيين بنفس المفهوم وبنفس المصطلح .

عوامل ظهور عقيدة المخلص :

وإذا تأملنا تاريخ بني إسرائيل الديني والسياسي سوف نجد أن

---

(١) كتاب الله : الأستاذ عباس العقاد ص ٨٨ مرجع سابق .

هذه العوامل تنقسم إلى :

١- عوامل نفسية .

٢- عوامل سياسية .

أولاً : العامل النفسي :

ومن الجدير بالذكر أن هذه العقيدة عند اليهود وغيرهم ممن سبقهم أو عاصرهم تنبثق من رؤية نفسية ، حيث مثلت الأزمات التي مر بها اليهود ، وما عانوه من ألم وتشريد وتعذيب [١] ضغطاً نفسياً قوياً هيأ العقلية اليهودية لتصور ضرورة وجود منقذ لهم ومخلِّص من هذا الوضع المهين ، بل جعلهم يرحبون بهذه الفكرة، ويطبعوها بطابع خاص،ويربطوها بعقيدة"التميز" أو "التفوق الجنسي" على سائر الأجناس.

وكانت هذه هي العلة التي جعلت فكرة " **المخلِّص** " (تأتي مقترنة بفكرة " تجديد العهد مع الرب " أو فكرة " العهد الجديد " . عندئذ تتجدد أمة الله ، لتصبح جديرة بالله ، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن يقيم فيها الرب على جبل صهيون ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل ، وتزول فيها الأحقاد) [٢] .

إنها فكرة تتمثل آمال الشعب اليهودي في إحداث تغيير قوي في التركيبة النفسية تتبدد معها الآلام ، وتزول الأحزان ويصبح شعب

---

(١) راجع : مراحل التشريد والتعذيب لليهود في كتاب : تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم . تأليف أ. محمد عزة دروزة ص ٦٥ ـ ٣٨٥ المطبعة العصرية للطباعة صيدا لبنان ط أولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م . وقصة الديانات : سليمان مظهر ص ٣٥١ مطبعة مدبولي ط ثانية ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

(٢) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه . د. حسن ظاظا ص ٩٨ مرجع سابق .

إسرائيل سيدا لأعدائه الذين كانوا بالأمس الدابــر يذيقونـــه صـــروف العذاب ، مثلما تمثلت آمال البابليِّين في التخلص من حقد إلههم عليـــهم ومكره بهم ، وقد احتــال لإفنــاءهم بينمــا يطمحــون إلــى الخلــود والديمومية!!!

إن كراهيتهم للفناء انعكست إنعكاساً واضحاً على كراهية اليهود للتعذيب والإذلال ، ووجدت تعويضاً عما حدث بهم فجاءت هذه العقيدة لتمثل لهم تسلية وتسرية في أيام محنتهم .

إنها ظروف نفسية تشابهت وتداخلت وتفاعلت معاً في نفسية البابليين ونفسياتهم (أي اليهود) أفرزت **عقيدة ذو طابع نفسي خاص** ، بل وحاد .

وهكذا تبدو ملامح الفكر الفارسي والبـــابلي لتصطبـــغ الفكـــر الديني اليهودي بصبغة خاصة لا تجعله ينفك عـــن ســـمات الأديـــان الوضعية ، أو يشاركها ليس فقط في الخصائص ، وإنما فـــي بعـــض القضايا الموضوعية المتناظرة !!!

النص الديني اليهودي ينفتح على الأفكار المغايرة :

وقد انفتح النص الديني اليهودي المسمى بـــ "المقدس" انفتاحـــا كبـــيرا على هذه الأفكار واحتواها وهضمها ، وحاول أن يجعلها أمرا مؤكـــدا وعقيدة ثابتة لا تقبل الشك ولا الجدل .

فقد جاء في سفر إشعياء :

(وفي هذا الجبل سيصنع رب الجنود لكل الشعوب وليمة مـــن المسمنات ، ومأدبة من المسمنات الدسمة مع النبيذ الصرف المروَّق ،

وفي هذا الجبل سيزيل رقعة الغطاء المغطّى جميع الشعوب والحجاب الحاجب لكل الأمم . وسيبيد الموت إلى الأبد ، ويمسح السيد الرب الدموع عن جميع الوجوه ، ويزيل عار شعبه عن كل الأرض ، لأن الرب قد تكلم . فيقال في ذلك اليوم ، هوذا إلهنا الذي انتظرناه ، نبتهج نفرح بتخليصه) [١] !!

ولم يستطع اليهود بدافع هذه الضغوط النفسية القاهرة أن يقاوموا هذا التأثر بعقيدة " **الخَلاص** " التي كانت منتشرة عند البابليين ووجدوا فيها متنفَّسا قويا لآلامهم ومعاناتهم .

فـ (لقد جاء موسى عليه السلام إلى الإسرائيليين ، وهم مضطهدون من فرعون وقد دعاهم إلى الإيمان بـ " يَهْوه " نجاة لهم فاتبعوه ، وكل همهم أن ينقذهم من فرعون ، ولذلك أطاعوه حتى خرج بهم من مصر ، وبعد عبورهم البحر مباشرة وإهلاك فرعون ، حاولوا أن يرتدوا إلى عباداتهم القديمة فقالوا لنبي الله موسى عليه السلام(اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون)[١]،[٢].

إنهم آمنوا به مخلِّصا وكفروا به إلٰها فارتدوا على أدبارهم بعد إذ هداهم الله .. **إنها عقيدة مواقف ومآزق نفسية .**

---

[١] الكتاب المقدس (العهد القديم) سفر إشعياء الإصحاح : ٢٥ فقرات : ٦ – ١٠ ص ١٠٢٠ مرجع سابق .
[٢] الأعراف : ١٣٨ .
[٣] دراسات في اليهودية : الله والأنبياء في أسفار اليهود د. عبد الله حسن بركات ص ١٢ . الإمام للطباعة الحديثة ط ٢ عام ١٩٩٩م .

وهكذا نجد أن خضوع الفكــر – وخاصـــة الفكــر الدينـــي للعوامل النفسية حتما سيدفع إلى التأثر إما بالاستكانة للغريب والوافد، وإما بالاندفاعات الذاتية، في محاولـــة لتغييـــر ملامـــح التـــاريخ، والتخلص من عقدة " **الدونية** ".

وانطلاقا من هذه " **العقدة النفسية** "، واندفاعا بهذه "**الضغوط** " التاريخية حاول اليهود صياغة تاريخهم، وصبغوه بعقيدة يستشـــعرون من خلالها بتفوقهم، وتغيير التركيبة النفسية العامة للشعب اليـــهودي الذي عانى معاناة شديدة من نَيْر القهر والاستبداد والإذلال، فلاح لـــهم في " **مُخَيِّلَتِهم** " إله له سمات معينة واستمدوا مـــن " **وحـــي البيئـــة** " عناصر هذه العقيدة، وجعلوا هذا الإله بطلها الأساسيّ، وجعلوا مـــن أنفسهم أبطالا ثانويين لها !! فهو قاهر الآلهة، وهم قاهروا الشعوب!!

وهكذا تأثر اليهود في تفكيرهم الدينـــي بالأفكـــار والمعتقـــدات الوضعية بضغط العوامل النفسية العاتية والتي تفرض عليـــهم عقيـــدة "الخلاص " أو " المخلِّص " .

ثانيا : العامل السياسي :

ويرجع بعض الباحثين ظهور عقيدة المخلِّص إلـــى الظـــروف السياسية القاهرة والتي عاشها بنو إسرائيل، وإن كانت قد أخذت فيمـــا بعد الطابع الديني .

وتأصيلا لهذا الدافع يقولون : (عقيدة المسيح المخلص نشأت لعوامل سياسية معروفة في التاريخ الإسرائيلي القديم ، ولكنها تحولت بعد زوال هذه العوامل السياسية إلى عقيدة دينية ثابتة من عقائد اليهودية ، فقد أدى انقسام مملكة داود وسليمان المتحدة إلى مملكتين شمالية وجنوبية ، ثم سقوط هاتين المملكتين الأولى في يد الآشوريين ، والثانية في يد البابليين .. أدى هذا إلى نشأة وتبلور فكرة سياسية صُبغت بِصبغة دينية في زمن السبي البابلي هدفها تعويض سقوط المملكة الأرضية وجعل الأمل في إمكانية بعثها في المستقبل باقيا . وهذه فكرة غيبية حشرية تقوم على أساس الاعتقاد في قدوم مسيح مخلّص ، **وظيفته السياسية** تحقيق الخلاص القومي لشعبه) (١).

ثم تطورت فيما بعد فأخذت إلى جانب هذا المصطلح مصطلحا آخر هو"الخلاص الديني"(٢) .

وليس ثمة فرقا كبيرا بين هذين العاملين النفسي ، والسياسي فالأول ناشئ عن الثاني ، والثاني مولد له .

إلا أن الذي يسترعي الانتباه هنا أن " **المخلّص** " في هذه العقيدة نجده في سفر إشعياء الذي سقناه آنفا الإله (**يَهْوه**) بينما نجده

(١) تاريخ الديانة اليهودية د . محمد خليفة حسن ص ١٦٣ . دار قباء للطباعة والنشر ط ١ عام ١٩٩٨م . وراجع في هذا : اليهود في تاريخ الحضارات الأولى : جوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر ص ١٤ مطبعة الحلبي بمصر ١٩٧٠م .
(٢) راجع : المرجع السابق .

عند هؤلاء نبيا من الأنبياء ، والذين يقولون بهذا يعتمدون على الكتابات الدينية اليهودية . وربما يرجع هذا الاختلاف إلى صور الاضطراب الديني في الفكر اليهودي .

والذي نركز عليه هنا هو أن عقيدة الخلاص انبثقت من بيئات مجاورة تأثر بها اليهود بدوافع نفسية وسياسية بغض النظر عما إذا كان المخلِّص إلٰها أو نبيا ، وإن كنت أذهب إلى أنه الإله اليهودي طبقا لنص إشعيا ، أو لعل إسناد الأمر إلى الإله مع كون النبي هو المخلص فباعتباره جهة صدور الأمر ، ولأن النبي يبلغ رسالة الله تعالى .

لكن الأول هو الأظهر ، بل الصحيح .

ولننتقل إلى مظهر آخر من مظاهر تأثر الفكر الديني اليهودي بالأديان المغايرة والاتجاهات الفكرية الصاعدة أو الهابطة في البيئات المجاورة

تعقيب :

إننا إذ نؤصل لهذه الخصيصة للفكر الديني اليهودي وهي قابليته الكبيرة للتأثر بالأفكار والمعتقدات المغايرة من خلال هذين المظهرين السابقين ، لا يكون تناولنا لهما على سبيل الحصر ، فثمة العديد من المظاهر التي تدل على هذا وتؤصله ، بيد أننا لسنا هنا بصدد دراسة نقدية متخصصة لهذه الخصيصة وحدها ، لذا اكتفينا بالتمثيل بهذين المظهرين للتنبيه على ما عداهما ، ولكي يتسع المجال لخصائص أخرى من خصائص الفكر الديني اليهودي .

الفصل الثاني

خصيصة العنصرية

الفصل الثاني

خطيئة العنصرية

" **العنصرية** " واحدة من أخطر الخصائص التي يختص بها الفكر الديني اليهودي فهي شارة له يعرف بها وتعرف به بحيث إذا ذكر الفكر الديني اليهودي تبادر إلى الذهن مفهوم العنصرية ، وإذا ذكرت العنصرية سارعت العقول بالإشارة إلى جذورها فيه .

ولم تنحصر العنصرية فقط لتشكل الفكر الديني اليهودي ، وإنما انفتحت على الرؤى والتصورات الفلسفية في المجالات الأخرى كالسياسة والاقتصاد والاجتماع ... وهي وإن كانت قد نمت واكتملت في الفكر اليهودي قديما ، فمازالت تشكل البنية الأساسية في الفكر السياسي اليهودي حتى الآن .

وتتبدى مظاهر هذه العنصرية فيما يلي :

١ - التميز والانغلاق الديني .

٢ - قضايا التشريع اليهودي .

أولا : التميز والانغلاق الديني :

لا يخفى على من يطالع الفكر الديني اليهودي ويحلله وجود شارات التميز أو التفوق الجنسي أو النزعة العرقية،وإن شئت فقل: "**الساميَّة** " أو " **النرجسية** " .

فاليهود يعتبرون أنفسهم أشرف الأجناس وأفضلها على الإطلاق بل إنهم يرون أنهم السادة وما سواهم ليسوا إلا خدما لهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل إن الفكر الديني اليهودي يعتبر " **الجنس المغاير**" للجنس اليهودي " **حيوانات**" ، وأن هذه الشعوب خلقت من نطفة حصان ، وإن كانوا خلقوا في صورة مكرمة سوية ، فهذا لا يرجع إلى كونهم بشرا كرمهم الله تعالى ، ولكن يرجع إلى تأهيلهم لخدمة اليهود ، فلولا اليهود ما وجد إنسان في صورته السوية.

وطالما ينظرون إلى الأجناس الأخرى بهذه الصورة المذرية فليس إذن لآحادها – فضلا عن جماعاتها – أدنى حق ، لأن الحق لا يكون إلا لمن له قيمة ، وهم لا يقرون لغيرهم بهذا ، فكيف يكون لهم عندهم حق أو يقوم لهم وزن ؟!!

إن حقهم مهدر لأن كرامتهم مهدرة ، وهو ساقط لأنهم ساقطون في سلم الإنسانية ، بل هابطون في سلم البهيمية !!

ومن ثم كان حديث اليهود عن حقوق الإنسان وهْم أو أسطورة لا تلمس لها في الواقع حقيقة ، فمن يتحدث منهم عن شئ من هذا يكون خارجا عن نظريات الدين اليهودي ، ومناقضا لأصوله ومنتقصا من اعتقادهم أنهم " شعب الله المختار " .

على أن هذه النظريات هي التي غذت ولا تزال تغذي الفكر العنصري اليهودي في أخص قضاياه الدينية والسياسية .

وبالرغم من هذه النظرة العنصرية فإن اليهودية قد انفتحت على عناصر غير يهودية اعتنقوا اليهودية وهم ليسوا من بني إسرائيل ولكن هذا كان مدفوعا بعوامل سياسية بحتة وإلا فعلى اليهود طبقا لنظرياتهم الدينية إقصائهم عن ديانتهم لأنهم طبقا لهذه النظريات لا ينالون حظوة "شعب الله المختار " الحق اليهودي المزعوم .

وكيف لا والإسرائيلي – في الفكر اليهودي – يعتبر أفضل عند الله من الملائكة والاعتداء على اليهودي اعتداء على العزة الإلهية !! ومن يعتدي على العزة الإلهية ليس له إلا القتل والإحراق .

وهذه النظرة " **الفوقية** " المتعالية أو " **النرجسية** " هي التي أشبعت النفسية اليهودية بالتميز والتفوق على غيرها ، وعمقت من معاداتهم للشعوب الأخرى ، بل إنها بهذا المنطق جعلت الإسرائيلي إلٰها يجب أن يخضع له ويطاع !!!

عقيدة التناسخ والتفوق الجنسي :

ومن يطالع كتب اليهود الدينية سيجد هذه الروح واضحة تماما من حيث دلالتي المنطوق والمفهوم .. فالتلمود يرى أن الله (خلق ستمائة ألف روح يهودية ، لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل ، وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح .

وتتميز أرواح اليهود من باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه ، ومن ثم فقد كانت أرواح اليهود عزيزة عند

الله بالنسبة لباقي الأرواح ، لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات ، كما أن نطفة غير اليهودي كنطفة بـــاقي الحيوانات .

إذا أخطأ اليهودي – وحتى إن وصل في خطيئتـــه إلـــى حـــد الارتداد عن الدين – فإن روحه إنما تذهب – بادئ ذي بدء – إلـــى حيوان أو نبات ثم إلى الجحيم ، وبعد عذاب أليم لمدة اثني عشر شهرا تعود ثانية ، فتدخل في الجماد ، ثم في الحيوان ثم في أحـــد الوثنييـــن (غير اليهود) ثم ترجع إلى جسد أحد اليهود بعد أن تكون قد تطهرت وقد جعل الله هذا التناسخ رحمة باليهود ، لأن الـــرب قـــد أراد لكـــل يهودي نصيب في الحياة الأبدية .

والنعيم مأوى أرواح اليهود ، ولا يدخل الجنة غير اليهود ، أمـا الجحيم فهو مأوى الكفار من المسيحيين والمسلمين لا نصيب لهم فيـــه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين !!!

والتوراة ملك خاص لليهود وحدهم ، والوثني(أي غير اليهودي) الذي يدرس التوراة يستحق عقوبة الموت ..

والإسرائيلي معتبر عند الله أفضل من الملائكة ، فإذا ضـــرب أممي إسرائيليا فكأنه ضرب العزة الإلهية ، ويستحق الموت ، ولو لـــم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض والفرق بين درجة الإنســـان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب ..

والاجانب كالكلاب ، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجـانب ، ولا للكلاب ، والكلب أفضل من الأجنبي (غير اليهودي) لأنه مصـرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب ، وليس له أن يطعم الأجنبي(غير اليهودي) أو أن يعطيه لحما ، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منه .

وليس هناك قرابة بين الأمم الخارجة على دين اليهود ، لأنـهم أشبه بالحمير ، ويعتبر اليهودي بيوت باقي الحمير(بيوت باقي الأمـم) زرائب للحيوانات ، والخارجون على دين اليهود خنـازير نجسـة ، ويجب على المرأة اليهودية أن تعيد الاغتسال إذا رأت عند خروجـها من الحمام شيئا نجسا كالكلب أو حمار أو آدمي(غير يهودي) أو جمل أو خنزير أو حصان أو مجزوم .

وقد خلق الله اليهود على هيئة الإنسان لكي يكونوا لائقين لخدمة اليهود الذي خلقت الدنيا من أجلهم ، فإنه ليس مـن اللائـق أن يقـوم حيوان على خدمة أمير وهو في صورته الحيوانية) [١] .

مثارات النقد :

إذا تأملنا هذه النصوص فإننا نجد فيها مثـارات كثـيرة للنقـد تتلخص فيما يلي :

١- اليهودي يساوي العزة الإلهية أو هو رمز لها !!

٢- اليهودي أفضل عند الله من الملائكة !! بل روحه جزء من الله!!

---

[١] نقلا عن كتاب : بنو إسرائيل : د . محمد بيومي مهران ص ٣٦٣ ـ ٣٦٥ مرجع سابق .

٣- غير اليهودي خُلِق لخدمة اليهود وتكوينه في الصورة الإنسانية هو الأليق بالخدمة .

٤- غير اليهودي كالكلب والخنازير النجسة !!

٥- ليس هناك قرابة بين الأمم الخارجة على دين اليهود !!

٦- عقيدة التناسخ عند اليهود رمز من رموز التطهير للجنس اليهودي والحط من قيمة الأجناس المّغايرة له .

٧- ونجدهم فوق هذا كله يسلبون من الله تعالى الحق الإلهي الأسـمى في التفضيل والتكريم ، ويخضعونه لدائـرة يهوديـة منغلقـة تـأبى الاشتراك في التمايز أو حتى مجرد المَواربة فيه لأجناس أخرى ، ولو كانوا أفضل منهم دينا ، وأقيم منهم خلقا ، وأعدل منهم منهجا وفكـرا وأخشى لله تعالى وأرجى له تعالى منهم وقارا .

فهم أوقفوا إلههم بهذا عاجزا عن تفضيل سواهم لا يرى إلا مـا يرونه ، ولا يفعل إلا ما يريدونه ، وليس أعجب من هذا خبالا وسفها!

إنه إغراب في الرؤية واعتساف في التصور وضلال في الرأي وفساد في الفكر !!

فهل من مجـيب ؟!

٨- وفضلا عن هذا فإنهم يخضعون التفضيل الإلهي للجنـس وليـس للدين والتقوى مع أن المنطق الحق يقتضي بأن يكون مقياس التفضيـل على العكس من هذا ، أي الدين والتقوى،وقد أصل القرآن الكريـم هذا

المقياس التفضيلي إذ ينص على ذلــــك صراحـــة(يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (١) .

فهذا هو المقياس الحق الذي يحقق العدل الإلهي وحقيقة العـــدل أن يجازى كل بما عمل لا بالجنس الذي ينتمي إليه .

أما المقياس اليهودي للتفاضل فهو يـــزري بـــالعدل الإلـــهي ، ويجوز نسبة الظلم إلى الله تعالى، وهو عليه محال ، إذ أنه بناء علـــى هذه النظرية الجنسية قد يثيب الله تعالى العاصي ويعـــاقب الطـــائع ، لأن الأول يتميز بتفوق جنس على الآخر ، فهذا غـــير يـــهودي وذاك العاصي يهودي !! ومع هذا يكون له الحق في التفضيل !!!

والله تعالى يقول : (وما ربك بظلام للعبيد) (٢) ، ويقـــول تعالى : (ولا يظلم ربك أحدا) (٣) .

" **والعدل** " اسم من أسماء الله تعالى الحسنى فكيف يســـمي بـــه تعالى نفسه ثم يظلم ؟

والظلم لا يليق بذوي السير الحسنة من خواص البشـــر فكيـــف يليق بالإله الذي تحقق بالكمال المطلق ، وتنزه عن سائر خلقه .

---

(١) **الحجرات : ١٣ .**
(٢) **سورة الكهف : ٤٩ .**
(٣) **سورة فصلت : ٤٦ .**

إن عقيدة التميز أو التفوق الجنسي اليهودية إذن تنبني على انعكاس واضح للمقاييس التفضيلية الحقيقية التي يشهد لصحتها الدين والعقل والعرف الإنساني في تاريخ الأديان وتاريخ الفكر البشري الناضج .

من ثم أسس فكر اليهود الديني العنصري لليهود عقيدة خاصة بهم ، لها مفهومها الخاص وسماتها الخاصة ، وقدم لهم إلها خاصا بهم له طبيعة معينة وصفات خاصة تغاير طبيعة الآلهة التي تدين بها الأمم والشعوب المغايرة بما فيها عبادة الإله الحق سبحانه وتعالى !!!

ثانيا : قضايا التشريع اليهودي :

عندما نتأمل قضايا التشريع اليهودي نجدها تتساوق وتنسجم في مبناها مع نظرية " **التميز والتفوق الجنسي** " لديهم ، فهما ينبثقان من رؤية واحدة وينبنيان على أساس واحد هو الحق اليهودي المطلق – المزعوم – في الأفضلية على سائر الأجناس الإنسانية ، وهذه النظرة " **البِنْيَوِيَّة** " تصطدم بالدين والعقل اصطداما صارخا يتأبى على القياس الصحيح ، والتعادلية في الحقوق والواجبات بين أفراد النوع الإنساني وجماعاته،وهذا (**أي القياس المقلوب**) مما لا يقول به حكيم فضلا عن أن يقطع به عاقل .

ولسنا في هذا الصدد ممن يرسل الأفكار عارية من الدليل ، أو يطرحها بدون حجة ، ودليلنا نصوص التوراة القاطعة بتأييد ما نصل إليه في هذا الصدد من استنباطات وما نقرره من نتائج .

وإذا وضعنا أيدينا في معرض نقدنا للشريعة اليهودية على هذه النصوص نستطيع أن نبرز بعض مثارات النقد التي تبدى جوانب الضعف في التشريع اليهودي وتحيطه بسحب متكاثفة من الشك في إمكانية المعايشة مع الأجناس الأخرى تحت سماء واحدة أو فوق أرض واحدة !!

ولعلك تلمس معي هذا من خلال النصوص التالية من سفر التثنية :

[١] (حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح ، فإن أجابتك إلى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك) [١] .

[٢] (وإن لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف . وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل كل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك) [٢] .

هذا للمدن البعيدة من الأرض التي يقطنها اليهود بنص سفر التثنية .

---

[١] الكتاب المقدس ص ٢١٠ ، ٢١١سفر التثنية الإصحاح (٢٠) فقرات ١١- ١٧ .
[٢] السابق .

أما الأرض والمدن القريبة منهم فقد جاء النص قاطعا بعدم استبقاء نسمة منها تتنسم عبق الحياة وتنتشي بما ينتشي به اليهود (أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما) [1] .

(٢) إن حالة الشعوب في وجود الكيان اليهودي في حالة السلم لا تختلف كثيرا عنها في حالة الحرب .

فدماؤهم في الحرب مهدرة وأجسادهم مستباحة ، وهم في السلم عبيد وخدام لليهود ، لا حق لهم في الاستقلال ، ولا التعبير عن رأي في تقرير مصيرهم .

(٣) لا فرق في الشريعة اليهودية بين محارب ومسالم من الشعوب الأخرى والأجناس المغايرة للجنس اليهودي ، كما لا فرق فيها بين شعب قريب وآخر بعيد .

فإذا كان البعيد غير سالم من أذى اليهود وتعذيبهم ، فكيف يسلم القريب منهم المتاخم لحدودهم ، بل المقيم معهم في أرض واحدة !!

وما كان لهؤلاء ولا أولئك جريرة إلا أنهم جاءوا من سلالة غير يهودية !! ووجودهم في نظر اليهود لعنة يجب التخلص منها ونذير شؤم يجب استئصاله والقضاء عليه !!

---

(١) السابق .

من أين جاءت فكرة الاستعباد هذه ؟!

وهذه اللعنة إنما ورثوها عن أبيهم حام بن نوح عليه السلام الذي أبصر عورة أبيه التي تكشفت – كما يزعم سفر التكوين – على أثر نوبة سكر اعتادها نوح عليه السلام !!

وكان عقاب حام أن يلعن الرب ابنه كنعان وسلالته ويجعلهم عبيدا لعميهم سام ويافث وسلالتهم .

هذا التميز المزعوم إلى أين ؟!

ولا مرية أن هذا التميز المزعوم يلقي بأي سلالة جاءت عن غير طريق سام ويافث في الجحيم بعد أن تتجرع مرارة الاستذلال والاستعباد ، وبعد أن تكابد اللعنات الهابطة من السماء !!

إنهم في الدرك البهيمي الهابط لا في سلم الإنسانية الصاعد !! وهم في نظر اليهود في عداد الشياطين لا في عداد الملائكة !! فلا ملائكة سواهم ، ولا معصوم غيرهم وكيف لا وهم – كما يزعمون – أبناء الرب .

وهنا سؤال يطرح نفسه وبإلحاح : هل كان الرب شريرا حتى يكون أبناؤه كذلك ؟!

وهل كان الرب ظالما حتى يكون أبناؤه ظالمين وهل كان عنصريا حتى يكون أبناؤه عنصريين ؟!

إن الألوهية مقام يعتلي كـــل المقامـــات ، ويـنـــاقض الأوهـــام والترهات ومفهومها الصحيح يقضي على دعاوى الامتياز والعنصريـة الظالمة ، ويقتضي إحقاق الحق وحب الخير لســائر أجنــاس البشــر فالخلق كلهم عبيده ، ولا يكون التفاضل بينهم إلا بحســـب قربـــهم أو بعدهم عن طاعته .. ولكن توراة اليهود تفاجئنا بهذه الصورة الكريهــة وهذه التصورات الهابطة . وهذا القصور الإدراكي الفج .

ولتقرأ معي بتأمل هذه النصوص التوراتية التي تؤصـــل لـــهذه النزعة اليهودية ، والتي تفسر هذا الخلل الفكري ، وتميط اللثام عـــن قصور اليهود الذهني ، واستنبط معي من خلال هذه القراءة التأملية ما يليق وما لا يليق بمقام الألوهية ومقام النبوة ، وحاول أن تستشف مـــن النصوص ما ينقض الدعوى ويفند المزاعم .

وهاتيك النصـــــوص :

(وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب مـــن الخمـــر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجا فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشـــيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لاخوته . وقال مبارك الرب إله سام

وليكن كنعان عبدا لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبدا لهم) [1] .

مثارات النقد .

لعلك قرأت هذه النصوص بإمعان وتحسست مثارات النقد وأدركت معي أن تميز اليهود تميز بلا جذور ودعوى واهية تعوزها الحجة والدليل لما يلي :

{ ١ } انهيار مقياس التميز اليهودي لبطلان أصله الدلالي :

ينهار مقياس التميز اليهودي وتبطل دلالته لما يلي :

أ) اختلال تصور اليهود للألوهية :

* جاء تصور اليهود للألوهية مختلا تماما ، ومتناقضا مع أصول الاعتقاد الصحيح ، حيث أثبت أن الإله غافل عن إدراك مقام ألوهيته ، لأنه يختار أنبياء يختمرون ويسكرون ، وهذا ينسب للإله [2] عبثية الاختيار !!!!

فليس له إذن حتى مجرد الحنكة والتجربة [3] مع أن الفعل الإلهي حكيم يجب تنزيهه عن إجراءات التجريب .

---

(١) الكتاب المقدس . العهد القديم . سفر التكوين ص ١٥ إصحاح : ٩ فقرات ٢٠ ــ ٢٧ .
(٢) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .
(٣) مع أن بعض البشر يكتسب الحكمة بالتجريب فلا أدري لماذا يرضونها للبشر وينفونها عن الله تعالى ؟

فالإله الحق يأتي اختياره عن حكمة وعلم وإحاطة وانكشاف .. لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

* ومن شارات اختلال هذا التصور اليهودي للألوهية – أيضا – نسبة الظلم إلى الله تعالى ، لأنه يعاقب غير العاصي بذنب العاصي – إذا فرضنا جدلا صحة النص التوراتي – فقد عاقب كنعان [١] لأن أباه (حام) رأى أباه نوحا – كما تزعم التوراة – متعريا على أثر نوبة سكر ولم يستر عورته .

فالرب إذن عاقب من لم يستر عورة السكران ولم يعاقب السكران على سكره !!

ولو كان هذا صحيحا فلماذا لم يعاقب نوحا عليه السلام – وهو في نظر اليهود – سكير ؟!

وما ذنب [٢] كنعان في أن عورة جده تكشفت على أثر سكر هو برئ منه !!

هل لأن الخمر حلال والحرمة تكون في عدم ستر المخمور !! أي عدل هذا !!

---

(١) يعلق مؤلف كتب الشريعة الخمسة على هذا النص بقوله : (لن يذكر اسم حام بعد الآن أما كنعان فسيكون موضوع لعنة الآيات – أي الفقرات) كتب الشريعة الخمسة ص ٨٢ صادر عن الرهبانية اليسوعية . دار المشرق . بيروت .

(٢) إن بعض الشراح يثبتون له الذنب مع أن نص التوراة يتحدث عن معصية ارتكبها أبوه حام هي عدم ستره أباه نوحا !! راجع : المرجع السابق ولا أدري لماذا الإصرار على اتهام البرئ وتحميله مسئولية ما لم يعلم !!

ولو أن هناك معصية في عدم الستر فلم يكن كنعان هو العاصي وإنما أبوه فلماذا لا يعاقب هو دون ابنه .

* ومن شارات اختلال التصور اليهودي للألوهية أن النصوص التوراتية هذه قد باركت إله سام ، وسام أخو حام أبو كنعان فلماذا لم تبارك إله حام أو ابنه أيضا . ألم يكن إلههما واحدا ؟ أم أن لسام إله ولحام وابنه إله ؟!

وإذا باركت التوراة إله سام ولم تبارك إله كنعان فلم يبق إلا أن يكون إله كنعان غير مبارك !!! وثبت ضمنا تعدد الآلهة !!

أم ترى أن اليهود يباركون إلههم إذا أحسن إليهم ويغضبون منه إن عاقبهم !

(ب) اختلال تصور اليهود للنبوة :

جاء تصور اليهود للنبوة تصورا هابطا منحطا ، فقد صور نبي الله نوحا عليه السلام ، كما لو كان رجلا سوقيا عربيدا سكيرا .

ولا مرية أن هذا سَلْب لكمال النبوة الواجب للأنبياء شرعا – حيث يجب لهم كل كمال بشري يليق بنبوتهم ويحققهم بالعصمة – وإضافة صورة بذيئة لهم لتحل محل هذا الواجب الشرعي ، وتخل بمقياس النبوة الحقة ، وتذري بعصمة الأنبياء .

والله تعالى أغْيَر على دينه من تخرّصات وأباطيل الفكر الديني اليهودي وترهات التوراة – توراة اليهود .

{ ٢ } انهيار مقياس التميز اليهودي لبطلان دلالته عقلا :

أما انهيار مقياس التميز اليهودي فإنه ينهدم بانهدام دلالته من جهة العقل . إذ أن الرسالة تقتضي رعاية الله تعالى لمقامها ، وحماية أصحابها من أذى الشيطان والنفس ليتحقق لهم الكمال اللائق بكمال رسالتهم ، وهذه الرعاية مفقودة تماما في هذه النصوص – آنفة الذكر – فالعقل يقتضي اختيار الأليق ، وهذا لا وجود له تماما في ثنايا النصوص اليهودية فضلا عن ظاهر نصها .

إنها مفتقدة منطوقا ومفهوما ، بل الثابت عكسها !!

عبثية ... عشوائية ... خَبْط !!

مع أن العقل – فضلا عن الشرع – يقتضي ، بل يحتم وجوب هذه الرعاية الإلهية في التصور الديني الصحيح ، وإلا فلن يكون هناك اتزان في أصول الدين وقواعد الاعتقاد الحق .

ويؤيد الشرع هذه الوجهة العقلية حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [١] يعلم قدر الرسالة ويعلم قدر المرسل بها .

حتمية القول بالادعاء اليهودي :

لعلك قد أدركت من خلال مناقشة الأفكار الدينية التي تضمنتها

[١] الأنعام : ١٢٤ .

نصوص التوراة – أنفة الذكر – بطلان دعوى التميز اليهودي المبنية عليها .

ولم يبق إذن إلا حتمية القول بأن اليهود ادعوا هذا التميز ، وألفوا له قصة حاولوا ربط نسيجها ليثبتوا أن أبناء سام فقط هم الذين باركهم الرب وجعلهم سادة لأبناء كنعان ذلك الطريد الملعون من الرب وأن أولاده عبيد ليس لسلالة سام فقط وإنما لعبيدهم فهم عبيد العبيد ليثبتوا التفوق الجنسي والتميز المصطبغ بالصبغة الدينية .

إلا أنهم أخفقوا في نسج القصة لمناقضتها أصول الدين الحق وصريح النقل وصحيح العقل ، بل إن مقتضيات النصوص المُساقة في معرض الاستدلال تنقض هذه الدعوى،مما يثبت بطلانها منطوقاً ومفهوماً .

ولكن انظر كيف قفز اليهود فوق مقتضيات الحق الإلهي المطلق ، وتطاولوا على الذات الإلٰهية العلية ، وكيف قفزوا فوق دائرة النبوة ، وشوهوا صورة نبي الله نوح عليه السلام ليثبتوا تفوقهم الجنسي ، وتميزهم المزعوم ، وعنصريتهم البغيضة .

فلا تعجب بعد هذا إذا ما رأيت اليهود يتعدون على حقوق البشر ، ويطأون رؤوسهم بالأقدام ويستعبدونهم ويستذلونهم !!!

ولعله قد اتضح من خلال ما سبق هذه الخصيصة " **خصيصة**

العنصرية " التي اختص بها الفكر الديني اليهودي .

مع الوضع في الاعتبار أن هذه الأدلة ليست كل ما في جعبتنـــا فثمة نصوص كثيرة تثبت هذا اكتفينا بذكـــر بعــض منـــها تحاشــياً للاستطراد [1] .

---

(1) وإذا ما أردت أن ترجع إليها فدونك الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . د . علي عبد الواحد وافي ص ٤٠ – ٤٣ نهضة مصر ١٩٧٧م .

الفصل الثالث

خصيصة المادية

خصيصة المادية

"المادية" خصيصة من الخصائص التي اختص بها الفكر الديني اليهودي والتي جردته من قيم الإعلاء ، وهبطت بجوانبه العقدية والتشريعية إلى درجة لا يمكن تعريته أو تجريده منها .

فهي تخضع منظور العقيدة الصافي لعلائق المادة ، وتفسر ليس فقط الفعل الإلٰهي ، بل الذات [1] الإلٰهية تفسيرات مادية ، وتؤسس عليها مقدمات مادية للخلوص منها إلى أحكام تختص بجواهر الاعتقاد التي يجب ألا تخضع لهذه الإجراءات إبقاءً على قداستها وتنزيهها عن صفات المادة .

وإذا طالعت الفكر الديني اليهودي ستجد أن المادية كانت محور ارتكازه في حديثه عن الذات والصفات ، فقد نظر إلى الخالق نظرته للمخلوق ! وخلط بين صفات الله تعالى وصفات البشر .

وفي ضوء هذا لم تستطع العقلية اليهودية فصل ما للبشر عما هو لله ، ولا تخليص ما لله مما هو لاصق بالبشر ، وتلاشت بذلك مقتضيات الألوهية في المقتضيات البشرية ، مع أن مقتضيات الألوهية لا تخضع لقياس ولا يمكن محاكاتها إطلاقاً .

---

(1) الإسلام نهانا عن التفكر في الذات الإلهية رحمة بعقولنا التي تتقاصر عن إدراك كنهها ، وأطلق لنا التفكير في صفاتها ومتعلقاتها .

إنها حالة من حالات الإعياء التي أصابت العقلية اليهودية في طورها البنائي..أصابتها بنوبات غيبوبة متكررة إن لم تكن مستمرة .. عميت فيها أدواتها الإدراكية ، وقلصت طاقاتها وقدراتها الذهنية ، ولا تزال تعاني منها حتى الآن .

وآية ذلك أن مصادر الفكر الديني اليهودي لم تنق من هذه التصورات حتى في أطوار نموها اللاحقة ، بل نجدها تصدع بهذا وتعالن به دون مواربة أو حياء .

فقد جعلت مادية اليهود " **الإله** " كياناً يتمتع بالصفات المادية ، ويخضع لظواهر المادة ، فهو يمشي وسط الرجال ، ويجلس في خيمة إبراهيم عليه السلام ، ويغسل قدميه ، كما أضفت عليه صفات بطولية بيد أنها تضاءلت أمام بطولة يعقوب في حلبة مصارعة بينهما حسمها يعقوب لصالحه وصرع الرب إلهه !!

وهذا ما نصت عليه نصوص التوراة – سفر التكوين – فقد جاء فيها : (وظهر الرب لإبراهيم عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت النهار فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه .. وقال : ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت شجرة فآخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون) [١] .

---

[١] **سفر التكوين . إصحاح : ١٨ فقرات : ١ – ٦ .**

مثارات النقد :

إذا تأملنا هذا النص التوراتي سنجد فيه عدة مثارات للنقد اصطبغ بها هذا الفكر البنائي لسفر التكوين قامت على أسس مادية أخضعت الإله لمنظور مادي بحت ، وهذا ما لا ينسجم مع المنظور العقدي الصحيح ومنها ما يلي :

١ - " **قضية الظهور** " والتي تتمثل في ظهور الرب لإبراهيم عليه السلام ، وهي قضية متكررة في سفر التكوين.فقد ظهر الرب من قبل لآدم [١] ، ثم ظهر لأيوب [٢] ، ثم ظهر لإسحق [٣] ، ثم ظهر ليعقوب [٤] – عليهم السلام .

ولم يقف الأمر عند حد ظهور الرب للأنبياء ، وإنما نراه في سفر التكوين يظهر للوثنيين من أمثال أبمالك وأصحابه، وفيكول إذ قالوا لإسحق عليه السلام (إننا قد رأينا أن الرب كان معك) [٥] !! على أن الرؤيا هنا منامية ، وإلا فدونك دليل آخر حيث يظهر لوثني آخر كلابان، ويكلمه ويحذره من أن يمس نبيه يعقوب بسوء !! بل ينهاه عن مطلق الحديث معه ، فقد جاء في سفر التكوين (ولكن إله

---

(١) سفر التكوين : إصحاح : ٣ فقرات : ٨ – ١٤ .
(٢) سفر التكوين : إصحاح ٣٢ فقرات : ٣٤
(٣) سفر التكوين : إصحاح : ٢٦ فقرات : ٢ .
(٤) سفر التكوين : الإصحاح : ٣٢ فقرات : ٣٤ – ٣٩ .
(٥) سفر التكوين إصحاح ٢٦ فقرة ٢٩ .وكان قد عاب نبي الله إسحق عليه السلام مجيئهم إليه بعد أن أغضبوه وخالفوه . والنص في كتب الشريعة الخمسة : (إننا قد رأينا أن الرب كان معك) ص ١٠٧ .

أبيكم – والمتكلم هنا لابان – كلمني البارحة قائلاً : احترز من أن تكلم يعقوب بخير أو بشر) [١] .

إننا إن فرضنا جدلاً [٢] صحة ظهور الرب للأنبياء على أنه تكريم لهم فلا نسوغه إطلاقاً للوثنيين إذ هو في ذاته رحمة ، وهي لا تتناسب مع وثنيتهم ، أو انحرافاتهم،بل الإعراض عنهم تعذيب لهم .

وهذا المعنى يقرره القرآن الكريم : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) [٣] .

إذا كان الله تعالى توعد المحرفين من أهل الكتاب لكتابهم بأنه لا يكلمهم ولا ينظر إليهم ، وهذا من أقسى ألوان التعذيب وأشده ، أفيظهر للوثنيين والمنحرفين في الدنيا ويكلمهم !!

ولتأتي معي إلى " **قضية الظهور** " هذه ، أليس تطرأ عليها أعراض المادة من الحركة والسكون والبقاء والفناء ، والقرب والبعد ، والوجود والعدم والظهور والخفاء ؟؟!

---

(١) سفر التكوين إصحاح : ٣١ فقرة : ٣٨ .

(٢) وهذا ما لا نقره إذ لم يقم الدليل على ثبوته بدليل قصة موسى عليه السلام وقول الله تعالى له (لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) والنص صريح في توبة موسى إلى الله تعالى من طلب رؤيته تعالى . أما ما أثر عن رؤية النبي محمد صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء والمعراج فقد تكلم فيه العلماء وهو محل خلاف وإن خلصنا من هذا الخلاف بجواز رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة على ما يراه جمهور العلماء .

(٣) آل عمران : ٧٧ .

ألم تخضع المرئي للتجسيم والتحجيم ، والوسائط البصرية كحتمية خضوعه لآلة الإبصار ، وحتمية خضوعه للضوء كوسيطين للرؤية ؟!

إن قضية " **ظهور الرب** " في التوراة تقتضي خضوع الرب لكل **هذه** المتعلقات المادية .

وليت القضية تقف على حد الظهور فقط فيحمل على بقاء الإله على عرشه ، وإنما تحتم نزوله ، بل ومشيه ، بل ومخاطبته ، بل تبرز تأثره بالمتغيرات في الطبيعة الكونية !!

إنه يأتي في ثلاثة رجال ، ويستريح أمام خيمة إبراهيم من العناء والتعب ، ويغتسل بالماء ويتلطف به من حرارة الجو ويأكل الطعام !!!

مصارعة يعقوب المزعومة للرب !!

ولم يقف الأمر عند حد هذه الظواهر المادية التي ألصقت بالرب صفات الحوادث وأخضعته للمنظور البشري ، بل إنها تعدت ذلك إلى مصارعة الرب يعقوب .. مصارعة الخالق للمخلوق !!!

ولو قالت التوراة بمصارعة الرب للآلهة لكان أهون مصيبة من قولها بمصارعة المخلوق للخالق حتى على الأقل توجب له لوناً من التوازن في ميزان القوى يحقق له القوة والقدرة إن فاز على غيره

فلأن يَصرع إلها مثله أفضل من أن يَصرع مخلوقا له !!

هذا ما تقرره القِسْمة العقلية ، والتدرج الجدلي ، لكن شيئا من هذا لم يحدث وبقي قيدا للفرض ، وعلى الزاعم ذلك أن يأتي بدليل مماثل ليثبت زعمه .

فمصارعة يعقوب للرب تقتضي إمكانية مصارعة غيره،ولكن الإله الحق منزه عن هذه الجدليات والماديات والصراعات .

فالواجب أن يكون الإله متفردا بالقوة حتى يقهر من دونه لا أن يقهر بقوة الغير أو ينازع في ملكه ، والقرآن الكريم يقرر هذه النتيجة العقلية ، يقول (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون) [١] .

لأن الكون يزول ويفسد على أثر التنازع والجدل . لكنهما لم تفسدا فدل ذلك على وجود إله واحد وانتفى وجود مغاير له ينازعه في ملكه ، وثبت لله تعالى التفرد والقهر والجبروت والهيمنة على كونه وخلقه .

أما إذا علمت أن التوراة قد أشبعت الفكر اليهودي بنظرياتها المادية ، وأنها أغرقت الإله في الماديات فأخضعته لأعراضها وصيرورتها ، فلا تعجب بعد هذا الانحراف العقدي أن تجد الرب فيها مغلوبا مقهورا !!

---

[١] الأنبياء : ٢٢.

فقد جاء فيها : (.. وبقي يعقوب وحده فصارعه رجل إلى طلوع الفجر ورأى أنه لا يقدر عليه ، فلمس حق وركه فانخلع حق ورك يعقوب في مصارعته له . وقال " اصرفني لأنه قد طلع الفجر " فقال يعقوب " لا أصرفك أو تباركني " فقال له : " ما اسمك ؟ " قال: " يعقوب " . قال : " لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل لأنك صارعت الله والناس فغلبت") [١] .

ويبدو أن الرب ظهر ليعقوب في صورة رجل !! طالما أن شراح العهد القديم يقولون بأن المصارعة كانت مع الله !! ويضعون عنوانا لهذه الفقرات هو : " مصارعة الله " !!

فقد جاء في تفسيرها : (المقصود في هذه الرواية الغامضة ، اليهودية ولا شك ، هو الصراع الجسدي ، أي صراع مع الله ، يبدو يعقوب فيه الغالب أولا . لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية اغتصب بركته مع العلم بأن النص يتجنب اسم الرب ، كما أن المعتدي المجهول يرفض أن يسمي نفسه . في الواقع يستعمل المؤلف قصة قديمة لتفسير اسم " فنُوئِيل " [٢] . ولإيجاد أصل لاسم (إسرائيل) وبذلك يُضفي على تلك القصة معنى دينيا وهو أن يعقوب يتمسك بالله ويغتصب منه بركة تكون واجبا على الله نحو الذين

---

(١) كتب الشريعة الخمسة ص ١١٨ ، وسفر التكوين إصحاح : ٣٢ فقرة ٢٣ ـ ٢٩

(٢) بني إيل : وجه الله . وفنوئيل أطلق على المكان الذي صارع يعقوب الرب فيه . كتب الشريعة الخمسة ص ١١٨ .

سيحملون بعده اسم إسرائيل ... ويفسر اسم إسرائيل بأصل شعبي ورد في الترجمة اللاتينية : "لأنك قويت على الله ") [١] .

تفسير المغالبـــة :

وأرى أن مغالبة يعقوب المزعومة للرب تتلخـــص فـــي هـــذه المعاني :

١ – الصمود في المصارعـــة .

٢ – الفـــوز . ولكن النص لا يدل عليه على الحقيقة،ولكـــن يفســر باعتبار المعنى الأول ، وهو قبول التحدي والمصارعة مـــن يعقـــوب لرجل فائق القدرة وهو في نظرهم الإله الذي صارعه فـــي صـــورة رجل . فإن مجرد قبول المصارعة مع من هذه صفاته في مقابل قـــدرة محدودة قاصرة يُعَد فوزا كبيرا .

وهذا أيضا ليس منصوصا عليه ، فيعقوب قابل رجلا فصارعه ولم يعرف صفاته هذه ، ولم يرد أن حديثا دار بينهما يبيـــن القـــدرات والحيثيات .

والذي أعتقده أن شراح العهد القديم إلى جانب واضعـــي هـــذه القصة اعتبروا أو توهموا أن قبول المصارعة مع من هذه صفته فـــوز كبير وانتصار ساحق .

---

(١) كتب الشريعة الخمسة ص ١١٨ ، ١١٩ .

٣ – معنى المغالبة:قبول المقاومة ابتداء مع الرب فهي لا تدل على فوز حقيقي ، وإنما على فوز ضمني .

وهذا ما أختاره وأرجحه في تفسير " المغالبة " التي دارت بين يعقوب والرب في القصة المزعومة .

وعلى هذا فالرب سمى يعقوب إسرائيل لأنه قوي عليه وغلبه!! والقارئ لهذا النص يحتار بين من يجب أن يكون الغالب ومن يجب أن يكون المغلوب ؟!

ولا غرو فقد تلاشت في مادية اليهود الفواصل والفوارق بين صفات الله تعالى وصفات البشر فيصير الخالق مقهورا والمخلوق قاهرا !!

منطق غريب بل عجيب ذلك الذي يحاول إخضاع الذات الإلهية للتفسير المادي .

ولا تعجب بعد هذا الإشباع المادي للعقلية اليهودية ، والإغراق في ظواهر المادة من طلب اليهود من موسى عليه السلام رؤية الله تعالى جهرة (فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم وهم ينظرون) [١] بل لا تعجب عندما تراهم يصنعون العجل ويعبدونه من دون الله (فأخرج لهم [٢] عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله

---

[١] النساء : ١٥٣ .
[٢] أي السامري صانع العجل .

موسى فنسي . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هارون من قبلُ يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري . قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) (١) .

ويدل على تمكُّن هذه المادية الطاغية من قلوبهم قولُ الله تعالى: (وأُشربوا في قلوبهمُ العِجْلَ بكفرهم) (٢) .

وأنت ترى في الآيات الكريمات أن الله تعالى عاقب اليهود بالصاعقة بطلبهم من نبي الله موسى عليه السلام رؤية الله جهرة في حين أن التوراة تسبح في خيالات المادة،وتطلق للعقل التعمق في ظواهرها،وتخلع على الإله من أعراضها وطبائعها ما لا يليق بذاته المقدسة .

وانبثاقا من هذا " **الإشباع المادي** " يهمس اليهود بل يكون – كما تصورهم التوراة – في أذن الرب !! ولا ندري أصعدوا إلى الرب حتى يحدثوه في أذنه أم كان الرب مقيما بينهم قريبا منهم ؟ أم نزل إليهم ليحدثوه ؟!!

إن مادية التوراة تحتم نزول الرب إليهم نهارا في " **عمود سحاب** " وليلا في " **عمود نار**" نزولا متكررا !! وبناء على هذا يتقلب إله اليهود بين الأضداد والمتقابلات المادية من النزول المتكرر

---

(١) طه : ٨٨ – ٩٠ .
(٢) البقرة :

والصعود ، فإذا كان اليهود في نعمة ينزل الرب ليباركهم ، وإذا كانوا في نقمة ينزل ليخفف عنهم ، وإذا انحرفوا ينزل ليعاقبهم !!!

وليس لهذه المشاهد في التوراة من نهاية .. إنها مشاهد تمتد وتتكرر وفق مادية جدلية عابثة وهازئة !!

وقد ألحقت هذه المادية بالرب خصائص قصورها الذاتي فجعلته يعجز في بعض الأحيان عن تحقيق وعده للإسرائيليين كما عجز من قبل أمام يعقوب فقهره وصارعه (لأن الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب إلى الأرض التي حلف لهم قتلهم في القفر) [١] !!

ولا ندري أيهما أشد : القدرة على إدخالهم الأرض أم القدرة على القتل ؟!

أعتقد أن القدرة على القتل أشد ، فكيف يقدر الرب على فعل ما هو أشد ، ولا يقدر على فعل ما هو أخف وأقل شأنا منه !!

ومن النصوص التي جاءت بها التوراة في ذلك ما يلي :

(وكان الشعب كأنهم يشتكون شرا في أذن الرب وسمع الرب فحمى غضبه) [٢] !! (فنزل الرب في سحابة وتكلم معه) [٣] أي مع موسى عليه السلام !! (نزل الرب في عمود سحاب ووقف على

---

(١) سفر العدد : إصحاح : ١٤ فقرة : ١٧ .
(٢) سفر العدد : إصحاح : ١١ فقرة : ١ .
(٣) سفر العدد : إصحاح : ١١ فقرة : ٢٦ .

باب الخيمة) [١] (يا رب قد ظهرت لهم عينا لعين وسحابتك واقفة عليهم وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا وبعمود نار ليلا) [٢] .

ولاحظ أن هذه المادية جسمت الإله وحَيَّزته وأخضعته لعوامل المادة وطبيعتها من القوة والضعف والقدرة والعجز .

وقد أبرز ابن حزم خصائص الإله المادية في الفكر الديني اليهودي وقال بعدها : " وهذا تجسيم لا شك فيه وتشبيه لا خفاء به " [٣] .

وهذه من عوارض المادة يتنزه الإله الحق عنها .

---

(١) سفر العدد : إصحاح : ١٢ فقرة : ٦ .
(٢) سفر العدد : إصحاح : ١٢ .
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم [٢٥٥/١] .

والسؤال الذي يفرض نفسه هنا

هل سئم اليهود الروحانية فانجرفوا إلى حتمية الحس المادي ؟ أم تشبعت قلوبهم بالوثنية فأبت أخص ما في الغيب من قضايا الذات العلية وأبت إلا الإيمان بالملموس والمحسوس ، واشترطوا للاعتقاد الرؤية ؟!!

إن كل العوامل أدت إلى هذا الانحراف العقدي الجارف إلى المادية الغالية . وأنت ترى (أن الإسلام واليهودية يختلفان في تجسيم اليهود للإله الواحد ، ونفي الإسلام للتجسيم . ظهر الإسلام ينادي بأنه دين وسط محاولا أن يخفف من غلواء هذه المادية الطاغية إلى درجة أن هاجم المتكلمون فيما بعد طائفةَ المجسمة وشبهوهم باليهود في منهجهم العقلي) [١] .

وجاء القرآن الكريم ليضع أصل العقيدة العام ، وما يجب أن تحفظ به الذات العلية من تطاولات الماديين وسيطرة المادة الجارفة .. قال تعالى : (لا تُدرِكُه الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصارَ وهو اللطيف الخبير) [٢] .

وهذا هو المنطق الحق الذي استقامت له الأدلة ، وقامت به الحجة

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام . د. علي سامي النشار [١ / ٦٥] دار المعارف ط ٩ ١٩٩٥م وراجع قصة الديانات . سليمان مظهر ص ٣٣٦ .

(٢) الأنعام : ١٠٣ .

والبرهان ، فالإله الحق لا يُحَد بحد ، ولا يخضع لقيـــد ، ولا يحيـط بذاته أحد ، فهو تعالى يحيط ولا يحاط به ، ويُدْرِك ولا يُدْرَك ، وهـــو فوق صفات المادة ، منزه عن أغيار الحوادث وصيروراتها الماديـــة والروحية .

الفصل الرابع

خصيصة الأسطورية

الفصل الرابع

خصيصة الأسطورية

خصيصة " **الأسطورية** [1] " واحدة من الخصائص التي اختص بها الفكر الديني اليهودي تتبدى فيَ كثير من جوانبه التاريخية المتعلقة بقصص الأنبياء ، هذا إذا نظرنا إلى الأسطورة على أنها اختلاقات تضرب بجذورها في الخيال الرحب .

أما إذا نظرنا إليها من ناحية الخرافة سنجد دائرتها تتسع لتشمل جوانب التفكير في الإلٰهيات .

فهي إذن لازمة من لوازم الفكر الديني اليهودي تضيق وتتسع .. تتعمق وتتسطح .. تنطلق من الخيال ، أو تتغذى على شيء من الواقع ، شأنها شأن كل الأساطير التي عُرِفت في الآداب السائدة في الأجواء الدينية والفكرية آنذاك سواء انتقلت إلى الأوساط اليهودية من الشعوب المجاورة أو تاقت هي إليها وانفتحت عليها .

على أن الأسطورة تتفلت من قيود العقل ، وتَمْرُق من قيود الدين ، وتسطو على الأعراف والتقاليد فلا تترك شيئا من ذلك إلا نسجت حوله هالات من الخرافة تشوه جوهره ، وتحط من قدره وقيمته ، فهي تمثل تمردا سافرا على الواقع ، وانعتاقا من الضوابط

(١) الأسطورة : الخرافة أو الحكاية ليس لها أصل ، والجمع أساطير . المعجم الوسيط [١/ ١٧] مادة (سطر) ط (٢) المجمع اللغوي بمصر .

والقيود التي ترشد الفكر وتحكم الخيال .

وناهيك عن خطورة الخيال الجامح والاختلاق المحض والإضافات في الدين والتي تجعل منه مادة أسطورية ، وتجعل عناصره رافد للإبداع الفكري ، ومشروعا من مشروعات الإنماء الثقافي !!

وقد أحاطت الأسطورة في الفكر الديني اليهودي فكرة الألوهية فجعلتها ضربا من ضروب " **الخرافة** " .

وأحاطت النبوة فجعلتها فكرة " **عابثة** " تهزأ بالأنبياء وتسخر من الدين..إنها حطمت كل رموز الإعلاء،وأَبَتْ إلا الهبوط بهما في فكر راكد ومستنقَع آسِن !!

ولا سبيل إلى انعتاق هاتين الفكرتين من بَراثِن الخيال والأسطورة ، واعلم أنك عندما تأتي لتخلّصهما من ذلك تقضي على دين طالما نما عليها وتغذى بها ، وانبثق من معينها الناضب .

وهي دليل قاطع على أن العقلية الدينية اليهودية برعت في الخيال الديني ، وقدمت للفكر الإنساني نموذجا حائرا ، مضطربا ، متناقضا ، وإن كانت تأبى له الاندماج ، أو الانصياع لإفرازات هذه العقلية ، لأنها إفرازات منغلقة على اليهود ، لا تقبل الانفتاح على الآخرين ، لأنها تعتبره تشريفا يجب أن يحرم منه غيرهم .

وبهذا تجعل الدين موضوعا للحدس والظن والتخمين فلم تترك شيئا من أصل اليهودية الحقة إلا أتت عليه ، ولم تُبْق لنا منه إلا أطلالا دارسة وبقايا توارت تحت أعفار الدهر .

الأمر الذي حدا ببعض مفكري اليهود ، أن يزيل هذا الغبار ، وأن يميط اللثام عن حقيقة الفكر الديني اليهودي وتركيبته التي حوت عناصر متنافرة ، وأفكارا دينية شاردة ، وأوهاما واهية أثبتت الوضع والتحريف ، والتبديل ، والتغيير ، ومن هؤلاء اسبينوزا في رسالته في اللاهوت والسياسة ،وآخرون .

وقبل أن نتحدث عن عناصر الأسطورة في الفكر الديني اليهودي نومئ إلى مصادرها باعترافات شراح العهد القديم من الكتاب المسمى بـ (المقدس) .

[مصدر الأساطير ودوافعها]

أولا : مصدر الأساطير :

إذا ما أردنا أن نعرف مصادر الأسطورة في الفكر الديني اليهودي فعلينا أن نوجه عقولنا إلى الموروثات البيئية والتيارات الأدبية الفاعلة والمؤثرة في موضوعات الفكر الديني بوجه عام قبل وأثناء الوجود اليهودي ، وخاصة فيما يتعلق بقضية الخلق وقضية الألوهية ودائرة النبوة .

(فلم يكن مؤلفو الكتاب المقدس مترددين وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ، فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين ، وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية والليترچية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وأوغاريت ولا عجب في ذلك ، عند من يعلم أن البلاد التي أقام فيها إسرائيل كانت منفتحة على المؤثرات الخارجية .

وإلى جانب ذلك كان شعب الله (أي اليهود) في تاريخه على صلة بمختلف شعوب الشرق الأدنى ، ولكن علم الآثار يدل أيضا على أن المؤلفين الذين أعادوا النظر في الفصول الأولى من سفر التكوين

وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا إعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم والتفكير فيها بالنسبة إلى التقاليد الخاصة بشعبهم) [١] .

كما أنه من البديهي طبقا لمقياس المقارنة بين نصوص الكتاب المقدس والنصوص القديمة كقاعدة من قواعد النقد المنهجي فيما يتعلق(ببداية العالم أو أبطال العصور القديمة أنها لا تخلو من الفائدة في نظر قارئ الكتاب المقدس فهناك كثير من الشواهد عن الماضي الأدبي في الشرق الأدنى القديم نذكر منها الرواية " **البابلية** " عن خلق العالم على يد " **الإله مردوك** " ومغامرات " **جلجاش البطل** " المحتوية على رواية بابلية عن الطوفان أو الأبراج الشامخة التي شادتها مدن ما بين النهرين إكراما لآلهتها والتي تذكر برواية برج بابل وروايات سفر التكوين عن أجداد إسرائيل هي من أصل " **شعبي وعائلي** " وإن كان فيها آثار ثقافة زمنهم) [٢] .

الآباء أشباح كنعانية من سلالة أنصاف الآلهة !!

وتعمَّق الفكر الأسطوري في تاريخية الآباء أو الأجداد فأحالها من الحقيقة إلى الافتراض ، ومن الواقعية إلى الخيال فهم عند بعض مفكريهم ونقادهم أسماء وهمية مزعومة لتأييد الحق المطلق في أرض الكنعانيين التي هاجروا إليها واندمجوا في أفكارهم، وانصهروا في عقيدتهم

---

(١) كتب الشريعة الخمسة ص ٦٦ ، ٤٤ .
(٢) نفس المصدر .

وهذه النظرية نتاج مدرسة " ولها وزن " النقدية ، وهي الأكثر تطرفا بين النظريات المثارة حول تاريخية الآباء (فقد نادت – كما يقول جرهاردوس ڤوس – هذه المدرسة بأن أسماء إبراهيم واسحق ويعقوب لا صلة لها على الإطلاق بسلسلة أنساب العبرانيين ، ولكنها مجرد أسماء لأشباح كنعانية ولدت عن طريق تزاوج أنصاف آلهة كنعانية ، واعتبرها الكنعانيون أسلافا لهم وعبدوها على هذا الأساس في أماكن متعددة ، وحين حل العبرانيون في تلك الأراضي ،" أراضي الكنعانيين"، انخرطوا في سلك عبادة هذه الآلهة أو الأشباح ،وأصبحت أسماء إبراهيم وإسحق ويعقوب ضمن معبوداتهم وشيئا فشيئا تأقلم العبرانيون في هذه الأراضي ، وشعروا أن هذه الأماكن المقدسة ملك لهم ، فلابد أن تكون هذه الآلهة التي تعبد في تلك الأماكن آلهة عبرانية وليست كنعانية ولكي يؤيدوا ذلك ، ولكي يصبح الحق لهم في تلك الأراضي التي احتلوها ، اخترعوا خرافة أن إبراهيم وإسحق ويعقوب هم أجدادهم ...) [١] .

ومن هذه الأساطير في تفسير هذه التاريخية – أيضا – قولهم : (تقدم البعض بمحاولة لربط هذه الأسماء بما ورد في التقاليد البابلية . فسارة كانت " **رَبَّة حاران** " . وإبراهيم " **أحد آلهة البابليين** " ، ولابان " **إله القمر**" . أما زوجات يعقوب الأربع فهن " **وجوه القمر**" الأربع وأبناء

---

(١) علم اللاهوت الكتابي . ترجمة د . عزت زكي ص ١١٢ ، ١١٣ دار الثقافة . طبعة دار الجيل ١٩٨٢م .

يعقوب الإثنا عشر هم " **شهور السنة** " . أما أبناء ليئة السبعة فهم " **أيام الأسبوع** " ، وعدد الرجال الذي استطاع بهم إبراهيم أن يقهر الأعداء ، فهم " **عدد أيام السنة القمرية** ") [١] .

وبقطع النظر عن تاريخية الآباء وحقيقتها الثابتة القاطعة فإن تفسيرات هذه المدرسة النقدية تؤكد أن عناصر أسطورية بابلية تغلغلت في عقيدة الأسلاف ، بل تدخلت بقوة في جذور النشأة التاريخية لليهود وأحاطتها بهالات من الشكوك .

والذين يثبتون تاريخية الآباء يذهبون إلى أن (جميع ملوك يهوذا تقريبا كانوا حلفاء مصر أو توابعها . وهذا ما يبين لنا أسباب وجود تأثير ثقافي عميق ترك في الكتاب المقدس آثاراً وجيهة ولا سيما في الأسفار الحكمية) [٢] .

وهكذا تأثر الفكر الديني اليهودي بثقافات الشعوب المجاورة وبالحضارات القديمة كالحضارة المصرية ، والآشورية ، والبابلية ، والفارسية ، واليونانية .

وإن كانت اليهودية – كما يقول شراح العهد القديم – (قد ثبتت شخصيتها من زمن بعيد ، فلم تتأثر بالحضارة اليونانية إلا سطحيا . فإن يهود الشتات كان تأثيرهم بها أعمق مع أن مراجعهم الأساسية لم

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) نفس المصدر ص ٤٥ .

تزل هي أيضا مراجع ثقافة إسرائيل وديانته) (١) .

كما تشير الدراسات النقدية للتوراة فيما يتعلق بالتأثر الديني بديانات الشرق الأدنى أن (إسرائيل أخذ الذبيحة عن ديانات الشرق القديم ، وأنه أحسن في تضمين هذا الإطار الطقسي محتوى جديدا يناسب نظرته إلى العالم ولا يناقض فكرته عن الله) (٢) .

وأومأ " شارل جينيبير " إلى أن اليهود (لم يكتفوا – في بعض مناطق المهجر – بالتطور الاجتماعي وفقا للبيئة التي يعيشونها ، ولم يكتفوا بإعادة تنظيم عقيدتهم الدينية أو – على الأقل – تفسيرها لأنفسهم بما يتفق وثقافتهم مع صيانة جوهرها كاملا ، لم يكتفوا بذلك بل راحوا يخلطون باليهودية بعضا من أفكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين بهم ... على أن من هؤلاء الوثنيين من تأثر هو أيضا بعقائد اليهود) (٣) .

تأملات ناقدة :

إذا تأملنا هذه النصوص التي تتضمن آراء كتابية – تختص بأهل الكتاب – وتنم عن اعتقاداتهم في حتمية التأثر والدمج كواحدة من

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٤٦ .
(٢) كتب الشريعة الخمسة ص ٢٢٥ .
(٣) المسيحية نشأتها وتطورها : أ. شارل جينيبير . د . عبد الحليم محمود ص ٧٨ ط ٢ بتصرف يسير ، وموسوعة مصر القديمة : سليم حسن ص ٤٩٣ الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٠ . وأباطيل التوراة والعهد القديم . د . محمد البار [٢ /٤٣ ، ٤٧] دار القلم دمشق . الدار الشامية بيروت ط (١) ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

أخطر المراحل التي مر بها الفكر الديني اليـــهودي والتـــي لا يمكـــن إنكارها سوف لا نجد صعوبة في معرفة مصدر تسلل الأساطير إليـــه وسط موجات التأثر المتبادلة والعاتية .

ثانيا : **عوامل نمو الأساطير** :

١- لا مرية أن عقلية نشأت وسط هذه " **المؤثرات البيئية** " الطاغيـــة على مدى فترات طويلة من الزمن حتما ستستمرئ التفكير الأسطوري الذي كان يغذي ديانات الشرق الأدنى في تلك الحقب التاريخية .

٢- أضف إلى هذا أن العقلية اليهودية كـــانت مهيئـــة لتلقـــف هـــذه الأساطير – وخاصة إذا ما عرفنا أنها كانت تتشبع بأفكـــار وثنيـــة ، والفكر الوثني يساعد على نمو الأســـطورة ، ويتفـــاعل معـــها ، لأن الأفكار الوثنية أفكار لا عقلانية .. تضرب بجذورها في خيال محـــض وتهوي بآلهتها في معين الخرافة .

٣- من العوامل التي ساعدت على تقبل الفكر الأسطوري أو اســـتهواء النزعة الأسطورية عدم قداسة الدين في نفوس اليهود ، وناهيك عمـــا تسمع من قداسة الدين عندهم الآن فتلك شعارات جوفاء ومزاعم واهية ينقضها صحيح الدين ، وصريح المنقول ، وصحيح المعقـــول ، فكيف

بأمة سبّت إلٰهها [1] ، وقتلت أنبياءها !!

أفيكون بعد هذا احترام لإله أو تقدير لنبي ؟

٤- **الانهزامية** : تعد هزائم اليهود المتكررة وتشريدهم في الأرض شراذم مروعة ، ونكبتهم في سنى التيه ، وضياع ملكهم ، وهجراتهم المتعددة تعد من العوامل التي ساعدت على ذيوع الأسطورة في الفكر الديني اليهودي وتقبل اليهود لها ، حيث اختلقوا نصوصا نسبوها إلى التوراة تصف الإله بالجهل والأنانية والبخل والعجز وتخضعه لنظريات مادية .

وإذا قرأت نصوص التوراة ستجد أنه كلما ازداد شعورهم بالقهر والاستعباد كلما ازداد نزول الإله إليهم ، وظهوره لهم ، بل وجلوسه مع أنبيائهم ، ورؤية الشعب له عينا لعين .. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

على أن هذه الصورة وتلك تعدان دليلا على التناقض السافر في العقلية اليهودية .

وقد أشار "جرها دوس فوس " إلى هذا بقوله : (ترى وجهين يكشف بهما الله عن ذاته أمام الإنسان : الوجه المتسامي ، الذي نرى فيه الله رفيعا يسكن في الأعالي ، والوجه المتواضع الذي يتنازل فيه الله

---

(١) وقد عاب الله تعالى عليهم ذلك في القرآن الكريم : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ..) المائدة : ٦٤ .

ويتضع ليسكن مع المنسحق والمتواضع من عبيده) [١] .

ويتجه النقاد إلى أن العامل النفسي يتغلغل في عمق الأسطورة بوجه عام سواء أكانت دينية أم أدبية (فالأساطير والأدب تلعب دورا كبيرا في حتمية الاكتشاف التحليلي النفسي لبناء واختبار وتسويغ النظرية) [٢] .

ولا مرية أن(مرضية الشخصية لها تأثيرها البالغ في هذا البناء الأسطوري)[٣]. وهذه المرضية ظهرت بقوة في الشخصية الإسرائيلية تحت وطأة التعذيب والقهر الذي عانى منه اليهود في ظل القوى الكبرى والحضارات العظيمة في القديم ، وما هذه الأساطير حول الألوهية والنبوة إلا انعكاسا صارخا لهذه القهرية في تاريخيتهم المظلمة الحالكة .

وإذا كان وقع عليهم من قهر واستعباد فبظلمهم وقتلهم أنبياءهم (إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) [٤] .

وأعتقد أن هذه الأساطير التي نجدها في العهد القديم أسطورة " **شخصية لا واعية** " ، لأنها تتداعى في جملة عناصرها أمام العقل الواعي والمدرك .

---

(١) علم اللاهوت الكتابي ص ٣٧٠ .
(٢) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي تأليف مجموعة من الكتاب ترجمة رضوان ظاظا ص ٨٥ سلسلة عالم المعرفة . الكويت . ذو الحجة ١٤١٧هـ مايو / آيار ١٩٧٧م .
(٣) نفس المرجع ص ٨٥ .
(٤) يونس : ٤٤ .

من ثم قال " أ . ل رانيلا " عن نبي الله سليمان عليه السلام : (إنه يمثل شخصية الساحر الخيالي في قصص الشرق) [١] .

وقال عن نبي الله يوسف عليه السلام : (وقد رأينا في قصة يوسف أن تعليق الأحبار في الحواشي على العهد القديم متضمنا الأسطوري والعجيب ، وكذلك ما سجله الكتاب الدنيويون أدى ذلك كله إلى ما أصبح متنا أدبيا شاملا مشكوكا في صحته " [٢] .

ثم يرتد إلى سليمان عليه السلام مرة أخرى قائلا : (وهناك عنصر رابع ورد في بعض الأساطير اليهودية هو زواجه من ملكة سبأ) [٣] .

وهذا يؤكد مدى عمق العامل النفسي وخطورة الشخصية المرضية التي عاشت الآلام والنكبات في رسم أساطير الخَلاص،وتحقيق الذات وهو انطلاق واضح من الشعور بالعجز والانكسار والخذلان !!

وهذا فكر يضرب في جذور الأسطورة ، ويجعل من " **إله اليهود** "(بطلا أو جبارا منتقما يثأر لليهود من الأمم الأخرى)[٤] ، ويندم إذا أنزل بهم نقمة أو أحل بهم عذابا !!

---

[١] الماضي المشترك بين العرب والغرب : أ.ل رانيلا . ترجمة د. نبيلة إبراهيم ص ٤٠ سلسلة عالم المعرفة . الكويت رمضان ١٤١٩هـ يناير / كانون الثاني ١٩٩٩م .
[٢] المرجع السابق ص ٤١ .
[٣] المرجع السابق ص ٤٤ .
[٤] موسوعة مصر القديمة . سليم حسن [٩ / ٥٥٠] .

٥- **الإسقاط** : ويعني به إلصاق ما في النفس بالغير ، أو النزول بالخلفية الفكرية الذاتية إلى أعماق الآخر وترسيبها فيها ، أو الحديث عن النفس في صورة الغير .

وهذا يختص فيما يُرمي به الأنبياء من جرائم ارتكبوها مثل الزنا ومعاقرة الخمور ، وعبادة الأوثان !!! فلأنهم منحرفون في طبيعتهم مضطربون في شخصيتهم متهمون في سيرتهم اتهموا الأنبياء ليسوغوا لأنفسهم المعصية ويبرروا الانحراف !!

٦- الرؤى : ومن العوامل التي أدت إلى ظهور الأساطير وسيطرتها على الفكر الديني اليهودي أنه اعتمد في كثير من مراحله على الرؤى التي يراها الرائي سواء أكان نبيا أم غير نبي ، وسفر التكوين وسفر العدد(١٢/٦) يحدثنا عن رؤيا لابان ، ورؤى أخرى كثيرة نجدها في العهد القديم للأنبياء وغيرهم .

ولا مرية أن عامل الرؤى أسهم إسهاما كبيرا في خيالات اليهود التي انبنت عليها أساطيرهم .

مما حدى "بجرهاردوس فوس" الناقد اللاهوتي إلى القول بأنه (ربما كان لبعض الأنبياء من ملكة الخيال أكثر مما للآخرين وإننا لنجد أرميا يتحدث عن نفسه بأنه كان يعيش على الدوام وسط مناظر الخراب القادم . وأنها كانت من الوضوح والقوة بدرجة مؤلمة

لأبعد حد) [١] .

وتجد هذه الرؤى تفتقد خصائصها المنامية ، وترادف كما يرى النقاد (**الإعلان الإلهي**) [٢] . وبناء على هذا (اعتبرت رؤى الأنبياء لم تكن اختيارا واقعيا ، بل نوعا من الكتابات الأدبية والبلاغية الخيالية لتزيد من قوة الرسالة وتأثيرها ، على أن بعض الرؤى يحتوي على صور غريبة متنافرة لا يمكن للخيال أن يكون منها صورة واقعية متماسكة . أن بعضها يتحدى براعة أي مصور ، وذلك لأنها ليست صورا واقعية وإنما هي خليط من مناظر مفككة مشوهة) [٣].

وهكذا استطاع جرهاردوس فوس أن يحلل ببراعة العهد القديم معتمدا على " **العامل النفسي** " في تكوين الأسطورة الخيالية التي جعلته ضربا من ضروب الخرافة والخيال والأسطورة .

وسوف نوضح هذا فيما يلي :

أولا : عناصر الأسطورة حول الإله في العقيدة اليهودية :

إن المتطلع إلى خصائص الإله الحق والباحث في صفاته في توراة اليهود سوف لا يجد فيها ما يشبع نهمه ، ويروي غُلته وسيصدم بعناصر الأسطورة التي سيطرت على الإله في هذا الفكر المادي المتمرد على الدين الحق فأخرجته من دائرة الألوهية الحقة وأخضعته للقياسات البشرية !!

---

(١) علم اللاهوت ص ٣٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٤٤ .
(٣) نفس المرجع .

على أن القارئ للتوراة لا يقف على هذه العناصر الأسطورية من باب المصادفة ولا تقع عينه على شئ لا يتكرر أو يتعدد ، وإنما سيجدها مترعة بالشواهد " **الأسطورية الغالية** " التي تفوق الحصر !!

ومن هذه الشواهد ما يلي :

١ – إله اليهود يطلب من موسى أن يصنع له مائدة !!

تنص التوراة على أن إله اليهودي يقترح على نبيه موسى أن يصنع له مائدة يأكل منها : (وتصنع مائدة من خشب السنط طولها ذراعان وعرضها ذراع وارتفاعها ذراع ونصف ، وتغشيها بذهب نقي . وتصنع لها إكليلا من ذهب حواليها . وتصنع لها حجابا على شبر حواليها . وتصنع لحاجبها إكليلا من ذهب حواليها وتصنع أربع حلقات من ذهب وتجعل الحلقات على الزوايا الأربع التي لقوائمها الأربع . عند الحاجب تكون الحلقات بيوتا لعصوين لحمل المائدة . وتصنع العصوين من خشب السنط وتغشيهما بذهب . فتحمل بهما المائدة ، وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها وجاماتها التي يسكب بها . من ذهب نقي تصنعها . وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامي دائما) [١] .

٢– إله اليهود يطلب من موسى أن يصنع له منارة هائلة بجوار المائدة !!!

وفي هذا تقول التوراة : (وتصنع منارة من ذهب نقي. عمل

---

[١] سفر الخروج . إصحاح ٢٥ فقرات ٣٣ – ٤٠ من الكتاب المقدس ص ١٢٧ .

الخراطة تصنع المنارة قاعدتها وساقها . تكون كأساتها وعجرها وأزهارها منها وست شعب خارجة من جانبيها . من جانب الواحد ثلاث شعب منارة ومن جانبها الثاني ثلاث شعب منارة في الشعب الواحدة ثلاث كأسات لوزية بعجرة وزهر . وفي الشعبة الثانية ثلاث كأسات لوزية بعجرة وزهر . وهكذا إلى الست الشعب الخارجة من المنارة . وفي المنارة أربع كأسات لوزية بعجرها وأزهارها . ونحت الشعبتين منها عجرة إلى الست الشعب الخارجة من المنارة تكون عجرها وشعبها منها جميعها خراطة واحدة من ذهب نقي . وتصنع سرجها سبعة . فتصعد سرجها لتضيء إلى مقابلها . وملاقطها ومنافضها من ذهب نقي من وزنه ذهب نقي تصنع مع جميع هذه الأواني . وانظر فاصنعها على مثالها الذي أظهر لك في الجبل) [١]

عناصر الأسطورة الإلهية في هذه النصوص :

إذا تأملنا هذه النصوص التوراتية من " توراة اليهود" نجد فيها أعجب الأساطير التي تضرب بجذورها في خيال جامح يرفض الواقع الإلهي القائم والذي ينزه الإله عن صفات الحوادث ، ويخلق له واقعا أسطوريا جديدا يضفي عليه كما يرى مؤلفو التوراة هالات أسطورية لم تضارع في ميدان الإلهيات . ومن هذه العناصر الأسطورية :

* أن الرب – حاشاه – يظهر في التوراة كما لو كان بلغة العصر– مصمم

---

[١] المرجع السابق .

ديكور على مستوى راق ، وموسى عليه السلام منفذ ديكور على مستوى لا يضارع !!! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

* الإله في توراة اليهود ينخلع من طبيعته ليجالس اليهود في طبيعة تبدو كما لو كانت بشرية !!

* الإله في توراة اليهود يتشوق إلى هذه المائدة الموسوية ، وينتشي بهالات المنارة الضوئية كأنه قد حُرِم هذا الجو الجمالي الخارق الذي يصنعه له موسى عليه السلام !!!

* نبي الله موسى عليه السلام في توراة اليهود يصنع مصابيح المنارة على غرار ما صنعه الرب له من مصابيح [1] على جبل الميقات !!

وكأني بالقارئ للفقرة الأخيرة من نصوص التوراة اليهودية التي نحن بصدد نقدها يخشى أن تتفوق صنعة موسى على صنعة الرب ، وليس هذا على التوراة بغريب فقد تفوق فيها من قبل نبي الله يعقوب عليه السلام على الرب وغلبه .

* وتتحت هذه الأسطورة في التوراة من الذهب عنصرا جماليا خلابا

(١) القرآن الكريم لم يتحدث عن مصابيح أو سرج في قصة الميقات ، ولم يخبر بأن موسى استطاع رؤية الجبل عندما تجلى له الله تعالى ، بل الثابت عكس ذلك (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين) الأعراف: ١٤٣ ولاحظ الفرق الكبير بين التوراة والقرآن الكريم في عرض هذه القصة ، فموسى عليه السلام في القرآن ينزه الله عن الرؤية وهو تنزيه ضمني عن جملة صفات الحوادث بينما تجده في التوراة مجسما ومشبها ، بل ويصنع على غرار ما يصنع الرب !! وهذا دليل عبث اليهود بالتوراة .

على اللقاء الإلهي البشري بهاءا وحسنا وألفة .

ويعلق بعض رجال علم مقارنة الأديان على هـــذه النصـــوص التوراتية بقوله : (ولم ينس إله إسرائيل أن يأمر موسى بأن يصنع لـه منارة " شمعدان " من ذهب خالص حتى يكتمل للجلسة الإلهية أبهتـــها وفخامتها) [1] !!

أوَ لم يكن من المعقول أن تترك التوراة الرب يصنع هذا بنفســه بدلا من تكليف موسى به طالما أصـــرت علـــى ذلـــك .. أم صنعـــة المخلوق تفوق صنعة الخالق ؟!

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وأيما كان فالغريب كيف ينسجم هذا مع غضب الرب علـــــى اليـــهود ولعنهم في التوراة والإنجيل والقرآن .

٣ – إله اليهود يطلب من موسى أن يبني له خيمة الاجتماع !!

وتنص توراة اليهود أن إله اليهود – تعالى الله عن ذلــك علـــوا كبيرا – طلب من موسى عليه السلام أن يبني له خيمة يجتمـــع فيـــها بالشعب اليهودي بل ، ويقيم فيها بينهم !!!

وفي هذا تقول التوراة اليهودية : (... وتصنع الألواح للمسكن

---

(١) التوراة : العقل .. العلم .. التاريخ د/ بدران محمد بدران ص ١٥٤ مطبعة القدس ط ١ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

من خشب السنط قائمة طول اللوح عشر أذرع ، وعرض اللـوح ذراع ونصف وللوح الواحد رجلان مقرونة إحداهما بالأخرى . هكذا تصنـع لجميع ألواح المسكن ..) [1] .

وهكذا (يعتقد اليهود أن الرب أمر موسى وهارون ببناء خيمـة الاجتماع ، ليسكن فيها ، ثم بعد ذلك أمر ببناء التابوت ، ليكون مقره ، وليكون على مقربة من أبنائه اليـــهود يرعـاهم ويدبـر أمورهـم ، وينصرهم على أعدائهم ، ويسمونه "رب الجنود" الجالس في التابوت . ثم إن الفلسطينيين أخذوا التابوت وبقي معـــهم سـبع سـنين والـرب مسجون عندهم ولكن الرب ضربهم بالبواسير . لهذا أعاد الفلسطينيون الرب وتابوته إلى بني إسرائيل ، وكل من نظر إلى التابوت يمـوت . ثم قرر الرب أن يسكن في جبل صهيون في أورشليم . وأخيرا بنى له سليمان الهيكل العظيم ليستقر فيه ويرتاح من التجوال في التابوت الذي كثيرا ما يأخذه الأعداء ، ولكن الهيكل نفسه تهدم وتحطم ، وانتقل منـه الرب إلى السماء ولكنه يعاود زيارته لجبل صهيون . وسـيعود مـرة أخرى للسكن في الهيكل عندما يأتي المسيح – الدجال – ويسكن فيـه إلى الأبد مع شعبه وحبيبه وابنه البكر إسرائيل بعد أن يبيد كل الأمـم التي تحارب ابنه وتعاديه) [2] .

---

(١) سفر الخروج إصحاح ٢٦ فقرات : ١٥ ـ ١٨ وراجع ما قبلها وما بعدها .
(٢) أباطيل التوراة والعهد القديم : د. محمد علي البار [٢ / ٣٠ ، ٣١] .

عناصر أسطورية :

ومن عناصر الأسطورة في هذه النصوص ما يلي :

* الإله في توراة اليهود يقيم في خيمة اجتماع صنعها له موسى وسط الشعب اليهودي بناء على طلب تقدم به إليه !!!

* الإله في التوراة [١] يتطلع إلى بيت آخر فيقيم في التابوت !!

* الفلسطينيون يغتصبون التابوت الذي يقيم فيه الرب !!

* الفلسطينيون يسجنون الرب في التابوت سبع سنين !!

* الإله في التوراة ظل عاجزاً عن تحرير نفسه طيلة هذه السنوات السبع ولم يخلص نفسه إلا بعد انقضائها !!

* الفلسطينيون يعيدون إله اليهود في التابوت إلى اليهود !!

* التابوت يكتشف قوته فيصعق من ينظر إليه !!

التابوت إذن قوة خارقة وليس الرب !!! فأين كانت هذه القوة والإله مغتصب فيه !!!

* إله اليهود يقرر الإقامة في جبل صهيون ويتنازل عن مهزلة الأسر !!

* سليمان في التوراة يحنو على الرب ، ويترأف به ، ويبني له هيكلاً يستريح فيه من العناء والمشقة !!!

---

(١) أي التوراة التي حرفها اليهود وليس التوراة الحقيقية التي أنزلت على نبي الله موسى عليه السلام .

* الإله في التوراة لم ينسجم مع البيئة فانتقل إلى السماء !؟

* الإله في التوراة يقرر حتمية العودة ليسكن وسط اليهود إلى الأبد ولكن بعد نزول الدجال !!

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ..

والتوراة مُتْرَعَة بالشواهد التي تبين كيف تغلغل الفكر الأسطوري اليهودي في قضايا الإلٰهيات سواء أكان على سبيل الإجمال أو التفصيل . ولكننا نكتفي هنا بذكر هذه النصوص في هذا الصدد . ومن أراد المزيد فليرجع إلى التوراة ونصوص التلمود .

ثانيا : أساطير اليهود حول الأنبياء :

وكما تغلغلت عناصر الأسطورة في الإلٰهيات بقوة في الفكر الديني اليهودي فلم تذر شيئاً من قضاياها إلا شوهته ، تغلغلت في دائرة النبوات وبنفس القوة ، وهي لا تقل في الثانية خطورة عنها في الأولى ، فقد مزقت حدود العصمة الواجبة للأنبياء ، وقفزت فوق الأستار ، وخلعت على الأنبياء صفات أبرزتهم كما لو كانوا من الدهماء أو السوقة من الناس ، فكما استلبت الذات الإلهية العليّة موجبات الكمال المطلق استلبت موجبات الكمال الواجبة للرسل عليهم السلام !!

ولا غرو أن تجد صورة الأنبياء في التوراة زناة ، مخمورين ،

خادعين ، خونة ، وثنيين بعدما وجدت الإله فيـــها يحتســـي كاســـات الخمر ، ويأكل على موائد اليهود ، ويسكن بينهم !!!

تعالى الله عن إفك اليهود .

هذا وسأبين عناصر هذه الأساطير التي نسجتها العقلية اليهودية حـــول الأنبياء في قصص يهودي مزعوم ومفترى فيما يلي :

أولا : أسطورة اليهود في قصة آدم عليه السلام :

ومن الأساطير والخرافات التي أوردها اليهود في مصـــــادرهم الدينية ونسجوها حول نبي الله آدم عليه السلام ما ورد في التلمود مـــن أن آدم وحواء (عاهران ، فاجران ، فقد كـــان آدم يزنـــي بشـــيطانة اسمها ليليت مدة مائة وثلاثين سنة فأنجب منها شياطين ، وكانت حواء في هذه المدة تبيح نفسها لذكور الشياطين فتنجـــب منـــهم الشـــياطين أيضا) [١] !؟

وقد بدت عناصر هذه الأسطورة في التوراة وإن اختلفت عـــن التلمود في أسلوب العرض فقط في هذه القصة ، فقد جاء فـــي ســـفر التكوين : (وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولـــد لـــهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات . فـــاتخذوا لأنفســـهم نساءً من كل ما اختاروا . فقال الرب لايدين روحي في الإنسان إلـــى

(١) التلمود نقلاً عن التوراة . العقل . العلم . التاريخ : د / محمد بدران ص ٩ . مرجع سابق .

الأبد . لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة . كان في الأرض طغاة في تلك الأيام . وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولاداً . هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذو اسم) (١) .

وأبناء الله يقصد بهم هنا (أبناء آدم عليه السلام من زواج صحيح) وبنات الناس يقصد بهن بنات حواء من زناها من الشياطين وبنات آدم من زناة بعشيقته (ليليت) (٢) !!!

ويزعم اليهود أنهم تسلسلوا من نسل شيث بن آدم (وهو نبي أيضاً) وشيث عندهم من أبناء آدم وحواء من زواج صحيح . أما بقية البشر فهم من نتاج الاتصال ببنات الناس !! والمقصود بذلك الزنا)(٣).

ومن عناصر الأسطورة في هذا النص :

١- أن الشريرين هم أبناء الشيطان ، ولعل هذه النزعة الأسطورية سادت في العصور القديمة في البيئات المجاورة ، ونقلها اليهود عنهم وتأثروا بها ، وهي أشبه بالحواديت والقصص الشعبية التي تنسج للتسلية ، وقتل الوقت .

٢- ليس الجبابرة على الأرض كما تزعم التوراة إلا سلالة آدم عليه السلام من الزنا !! حاشاه عن إفك اليهود .

---

(١) إصحاح : ٦ فقرة : ١ – ٥ .
(٢) أباطيل التوراة والعهد القديم د . محمد البار [١ / ٣٤٠] .
(٣) المرجع السابق .

٣- ليليت الشيطانة تأسر نبي الله آدم بعشق طاغ ، وتوقعه كما تزعم التوراة في الزنا !!

ونبي الله آدم عليه السلام أكرم على الله تعالى من أن يمسه شيطان .

ثانيا : **أسطورة اليهود في قصة هارون عليه السلام :**

ومن الأساطير التي وردت في قصة نبي الله هارون عليه السلام ما نسجته التوراة حوله من روايات واهمة سابحة في الخيال ، فقد ذكرت أنه صنع العجل لليهود ليعبدوه من دون الله !!

(ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه . فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون . فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه . ونادى هارون وقال غدا عيد الرب . فبكروا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح سلامة . وجلس الشعب للأكل والشرب ، ثم قاموا للعب) [١] .

---

[١] سفر التكوين . إصحاح : ٣٦ فقرات : ١ – ٦ .

وموسى يقول للرب : (ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحق وإسرائيل عبيدك الذين خلقت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه) .

ولما رجع موسى قال لهارون عليهما السلام كما جاء في التوراة : (وقال موسى لهارون ماذا صنع بك هذا الشعب حتى جلبت عليه خطية عظيمة فقال هارون : لا يحم غضب سيدي . أنت تعرف الشعب أنه في شر . فقالوا لي اصنع لنا آلهة تسير أمامنا ..) [1] .

عناصر الأسطورة:

وتتمثل عناصر هذه الأسطورة فيما يلي :

١ – هارون النبي في التوراة صانع آلهة !!

٢ – هارون النبي – في توراة اليهود – يقدم للعجل ، ذلك الإله المصنوع الذبائح لينتعش برائحتها !!

٣ – نبي الله موسى عليه السلام يغضب وهارون عليه السلام يعترف ويقر بأنه صنع الإله لليهود !!

٤ – غضب الرب أهون عند هارون من غضب موسى عليهما السلام

---

(١) نفس المصدر السابق فقرات : ٢١ – ٢٣.

٥ – نبي الله موسى عليه السلام يأمر الرب بأن يندم على الشر الذي أوقعه ببني إسرائيل ، والرب يستجيب في لغة نقاش حاد وجدل صارم!!!

والقرآن الكريم قد فند هذه الأساطير في قصة موسى وهارون عليهما السلام ، فبين صانع العجل الحقيقي وهو " السامري " في سياق يعترف هو بخطيئته ، ويبرئ بذلك هارون عليه السلام من إفك اليهود بل وتحدث عن نهيه إياهم عن عبادته .

وفي هذا يقول الله تعالى : (قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا . ولقد قال لهم هارون يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) [١] .

ونفت الآيات إلى جانب هذا خرافة مناقشة موسى للإله ونزول الرب على رغبته .

---

[١] طه : ٨٥ – ٩٠ .

ثالثا : أسطورة اليهود في قصة سليمان عليه السلام

لم يسلم نبي الله سليمان عليه السلام – الذي بلغ في أنبياء بني إسرائيل مبلغا عظيما وأوتي من الملك ما لم يؤت غيره من الأنبياء – لم يسلم من الخرافات الأسطورية التي أضفيت على شخصه في قصص العهد القديم لتنال من عقيدته كنبي ، ولتظهره بصورة عابد للأوثان ، بل ومروج لعبادتها داع إليها !!

ويصور هذا سفر الملوك الأول فيقول :

(وأحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحِثِّيَّات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة . وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاث مائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه . وكان زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملا مع الرب إلٰهه كقلب داود أبيه . فذهب سليمان وراء " **عشتورث** " إلاهة الصيدونيين و" **ملكوم** " رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة " **لكموش** " رجس الموآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم و" **لمولك** " رجس بني عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن ، فغضب الرب على

سليمان لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى فلم يحفظ ما أوصى به الرب فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها . على أني لا أمزق منك المملكة كلها ، بل أعطي سبطاً واحداً لابنك لأجل داود عبدي ولأجل أورشليم التي اخترتها) [١] .

عناصر الأسطورة في هذه النصوص :

١ – نبي الله سليمان عليه السلام يعبد (عشتروث) إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين !!

٢ – النسوة يستملن قلب سليمان إلى الوثنية ويقيم المعابد لها قرب أورشليم !!

٣ – الرب لم يعاقب سليمان بوثنيته المزعومة ، ويقع عقابه على ابنه، وقد اشترط الرب على نفسه ألا يكون العقاب في زمان سليمان إكراماً لأبيه داود عليه السلام !!

٤ – سليمان النبي ينبذ عهود الرب بألا يعبد غيره !!

وهكذا يصر العهد القديم على أن يظهر نبي الله سليمان عليه السلام

---

[١] سفر الملوك الأول من العهد القديم إصحاح : ١١ فقرات : ١ – ١٣ . وراجع موسوعة مصر القديمة . سليم حسن [٩ / ٥١٧] .

بصورة خرافية أسطورية .

وإذا كان الرب عاقبه لا في نفسه وإنما في ابنه بعد موته إكراما لداود عليه السلام فلماذا لم يمنعه من عبادة تلك الآلهة المزعومة لنفس السبب !!

والإكرام في هذه الحالة يكون أنسب لمنع نبيه من الشرك المزعوم .

وهل هناك بعد نبذ سليمان – كما يصور العهد القديم – العهود مع الرب وعبادة آلهة أخرى دونه إكرام ؟!

أم هل كان الرب لا يعلم سلفا أن سليمان سينحرف عن عبادته إلى الوثنية ويترسم خطا الوثنيين ؟!

- إن هذه الأسطورة تقلب مقاييس النبوة ، فتجعل النبي متأثرا بعبادة الآخرين لا مؤثرا فيها مغيرا لها . بل تجعله مفلسا من الأدلة عاجزا عن أن يقيم البراهين على خلود عقيدة التوحيد الحقة ، وصدق قضايا الألوهية .

ثم ألم يجد الرب في التوراة غير سليمان رجلا آخر يصلح لهذه الرسالة ؟!

وإذا كان الله تعالى يتوعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يأخذ منه باليمين، ثم يقطع منه الوتين إذا تقوّل عليه تعالى فلما لم يعذب سليمان نفسه وهو يعبد آلهة يعبدها نساؤه !!

وهذا أشد وأفظع من التقول !!

قال تعالى : (ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) [1] .

على أن التوعد هنا مبني على تقول افتراضي لم يحدث بعد فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يتقول على الله تعالى بدليل عدم إيقاع العقوبة المتوعد بها في الآية ، وهذا إمعان في إقامة الدليل على أن القرآن الكريم من عند الله ليس لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فيه حرف.

علي أن هذا التقول إن صح افتراضه يكون خيانة للعهد أويتوعد محمدا على هذا ويترك سليمان عابد الأوثان كما يصور العهد القديم !!

إن سليمان لو فعل هذا لعاقبه ربه أو توعده به ابتداء مثلما توعد نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم إن تقول عليه تعالى ولكن حاشاهما فنبي الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يتقول على الله كما أن سليمان لم ينحرف عن عبادته .

وفضلا عن هذا فإن هذه القصة تثبت "البَدَاءَ" لله تعالى وهو عليه محال،لأنه جهل أو نقص في العلم ، والقول به يعزل الإله عن تصريف كونه ، وينسب إليه عدم العلم بالجزئيات !!

---

[1] الحاقة : ٤٤ .

رابعا : خرافات وأساطير أخرى

بعد أن تحدثنا عن بعض الأساطير في قصص العهد القديم على سبيل التفصيل وبينا أوجه بطلانها أرى أن أسوق هنا على سبيل الإجمال عددا من الأساطير الأخرى التي حوتها التوراة وسائر كتب العهد القديم ونسجتها حول شخصية الأنبياء لتمثل طعنا صارخا في سيرتهم الذاتية وعقيدتهم الصافية . إضافة إلى أولادهم .

ومن هذه الأساطير ما يلي :

١ – نوح عليه السلام يغرق في السكر حتى تتكشف سوأته (١)!!

٢ – لوط عليه السلام رجل يعاقر الخمر، ويزني بابنتيه، وينجب من كل منهما جدا لشعب عظيم (٢) !!

٣ – رأوبين بن يعقوب البكر يزني بسرية أبيه وأم أخويه (٣) !!

٤ – يهوذا بن يعقوب زنى بزوجة ابنه وينجب منها توأمين (٤) !!

٥ – داود عليه السلام زنى بامرأة وحملت منه وقتل زوجها ، وهذه المرأة أم سليمان عليه السلام (٥) !!

٦ – أمنون بن داود زنى بأخته (٦) !!

---

(١) سفر التكوين إصحاح : ٦ فقرات : ٢١ .
(٢) التكوين إصحاح ١٩ فقرات : ٣٠ – ٣٨ .
(٣) التكوين إصحاح ٣٥ فقرات ١٢ .
(٤) نفس المصدر ٣٨ / ١٢ – ٣٠ .
(٥) سفر صموئيل الثاني إصحاح ١١ فقرات ٢ – ٧ .
(٦) صموئيل الثاني ١٣ / ١ – ١٤ .

٧ – يأمر الله نبيه أشعياء أن يبلغ دعوته وهو مكشوف العـــورة مـــدة ثلاث سنوات [١] !!) [٢] .

نظرات ناقدة :

هكذا تجد اليهود في العهد القديم يخلعون على الأنبياء مثل هــذه الأساطير القائمة على التخيل والافــتراء والكــذب علـــى الله تعـــالى والتدليس على أنبيائه عليهم السلام .

فهذا آدم عليه السلام كما تزعم التوراة يزني بالشيطانة" ليليت"! ونبي الله سليمان يعبد " عشتورث " إلٰهة الصيدونييـــن ، و" **ملكــوم** " رجس العمونيين ، و" **كموش** " رجس الموآبيين ، و" **لمولك**" رجـــس بني عمون وداود عليه السلام يزني بامرأة !! ولوط عليه السلام يزني بابنتيه وهو مختمر !! ونوح سكير مخمور !!

وكأنه ليس في بني إسرائيل،بل ولا في البشــرية وثنيــون وزنـــاة ، وسكيرون متعربدون وخونة وناقضو عهد ومنحرفون غير أنبيـــاء الله عليهم السلام وأبنائهم !!! بل إنهم قد ذهبوا في غيهم إلى أكثر من هـذا عندما جعلوا إلٰههم مخمورا ..

ولا أدري من بعد هؤلاء الأنبياء يكون طاهرا نقيا أمينا علـــى وحي الله صادقا في رسالته !!!

---

(١) سفر اشعياء إصحاح ٢٠ / فقرات ٢ ، ٣ .
(٢) مقدمة التوراة : العقل .. العلم .. التاريخ : د. بدران ص ٩ ، ١٠ .

ولا مرية أن هذه العناصر الأسطورية الضاربة في جذور الخرافة تتناقض مع الحق الإلهي في عصمة أنبيائه عليهم السلام !! بل وتوهم عبثية الاختيار الإلهي الذي لا يعني إلا الاصطفاء والاجتباء!!

والله تعالى منزه عن إفك اليهود ، وثبت أن اختياره للأنبياء اصطفاء واجتباء (الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) (١) ويقول تعالى : (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٢) وحاشا لله أن يجعل رسالته في قلب زانٍ أو مخمور أو فاسق ..

وقد سبق أن أومأنا إلى أنها تلصق بالله تعالى" البَدَاء" بمعنى أنه لا يعلم الشئ إلا بعد وقوعه، وهو تفسير مقنّع بالجهل الإلهي- حاشا لله -

أضف إلى هذا أن التوراة والعهد القديم تقيم العقيدة ، بل والدين بوجه عام على الحَدْس والظن والخَرْص والتخمين والوَهْم ، وناهيك عن دين يقوم على هذه الأساليب التي لا ينتج عنها إلا خرافات وأساطير وأوهام .

وقد حارب الإسلام هذه الأساليب الرخيصة البذيئة وبين أنها لا تفيد علماً يقينياً ، وإنما تفيد أموراً ظنية لا ترقى إلى مستوى الاعتراف بها كدين .

---

(١) سورة الحج : ٧٥ .
(٢) الأنعام : ١٢٤ .

فقد قال الله تعالى ذما لقوم: (إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) [١] .

وقال تعالى : (ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون) [٢].

وقال تعالى : (قتل الخراصون) [٣] .

وقال تعالى : (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) [٤] .

وقال تعالى : (إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) [٥] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " [٦] .

وقد تأثر بعض المنحرفين من المسلمين بترهات وسفاسف وأباطيل أهل الكتاب فراحوا يجيزون المعاصي،بل الكبائر منها على الأنبياء عليهم السلام على خلاف ما عليه إجماع الأمة والعقلاء من عدم جواز المعصية عليهم لا صغيرة ولا كبيرة .

وراحوا يتوهمون لذلك الأدلة من القرآن الكريم ، ويتأولونها على غير وجهها الحقيقي .

---

(١) الجاثية : ٢٢ .
(٢) الزخرف : ٢٠ .
(٣) الذاريات : ١٠ .
(٤) النجم : ٢٣ .
(٥) النجم : ٢٨
(٦) رواه الإمام البخاري في الوصايا باب : ٨ ، والنكاح : ٤٥ والفرائض ٣ ، ورواه الإمام مسلم في البر باب : ٣٨ والترمذي في البر باب : ٥٦ .

وقد ذكر الإمام ابن حزم أباطيلهم وبين بطلانها وتهافتها، ثم وجه الأدلة التي ساقوها بما يؤكد ما أجمعت عليه الأمة من عصمة الأنبياء عليهم السلام (١) وثبت بالكتاب والسنة .

ويشترط علماء أهل الحق من المسلمين لصحة النبوة ثلاث شروط منها : (أن يكون مدعي النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها ، لصدق لهجته ، وظهور فضله ، وكمال حاله ، فإن اعتوره نقص أو ظهر منه كذب لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفَقْد أمانتها) (٢) .

وهذا قبل أن يكون نبيا فما بالك بعد تَنَبُّوه ، فإذا كان هذا الشرط قبل التنبؤ واجب فإنه بعده أوجب .

وهذا رد على اليهود الذين طعنوا في عصمة الأنبياء وصوروهم بصور مذرية ورموهم بالعجائب والغرائب .

نقاد أهل الكتاب يعترفون بالفكر الأسطوري في العهد القديم :

لعلك وقفت معي من خلال ما سبق على اعترافات النقاد الغربيين بتعمق الفكر الأسطوري في العهد القديم وامتداده في ثنايا العهد الجديد ، وهم يتفقون معنا في أن هذه الاعترافات التي تمثل حقائق نقدية مجردة تمثل خطوة جريئة ، وثورة عقلية هادئة ترفض الخرافات

---

(١) راجع الفصل في الملل والأهواء والنحل [٤ /١ – ٥٩] .
(٢) أعلام النبوة لأبي الحسن الماوردي ص ٣١ المطبعة النموذجية نشر مكتبة الآداب ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

والأساطير في ميدان الفكر الديني أو على الأقل تعيبه وتحذر منه مما يسهم إسهاما فعالا في مجال علم مقارنة الأديان .

وهذه الخطوة الجزئية تعطينا دلالات هامة لم نعهدها من قبل هي استجابة علماء مقارنة الأديان الغربيين لصوت العقلانية الملحة والتي فرضت نفسها على هذه الاتجاهات الأسطورية في الأوساط الدينية ، بل في موضوعات وقضايا الدين الكبرى التي عانت منها اليهودية ، وتحمل تبعاتها الفكر الديني اليهودي ، أو التي تخص ديانتي أهل الكتاب بوجه عام ، فالإيمان بالعهد القديم – عند النصارى – شرط لاعتناق النصرانية .

فقد وقفت على آراء "جرهاردوس فوس" و"شارل جينيبير" ، و" ولهاوزن " ومدرسته النقدية ، و"رانيلا " ، وغيرهم كثيرون لا يسعنا المقام لذكر آرائهم ، وقد اكتفينا بهؤلاء لتتمة الاستدلال وتأصيله من آراء نقاد علم مقارنة الأديان من أهل الكتاب .

وأرى أن أسوق هنا تتمة للفائدة بعض الرؤى والتصورات النقدية لـ " أ . ل . رانيلا " حول القصص الأسطوري في العهد القديم وتطوره عبر العصور الوسطى من خلال قصة نبي الله سليمان عليه السلام وبلقيس ملكة سبأ ، فبعد أن تتبع الإضافات الأسطورية إلى القصة الحقيقية في العهد القديم قال :

(وفي العصور الوسطى المتأخرة ، خُلِع على الملكة مظهر آخر

من خلال إدماجها في أســطورة " **العبــور الحقيقـــي** " وقـد بـدأت الأسطورة تروح في القرن الثالث عشر في " **الفولكلــور**" البـيزنطي والشرقي ، ثم أشاعها الأسقف جاكويس و" أفريبي فانتشرت في أوربا بوصفها حكاية من حكايات قصص القديسين ، وهي مجموعـــة مـــن أساطير القديسين أصبحت المصدر التقليدي لرســـامي الموضوعــات الدينية في عصر النهضة .

ووفقا لهذه الأسطورة ،أعطى الملاك ميخائيل بن آدم " شيث " في أثناء احتضار آدم ، فرع شجرة (وفي بعض الروايات أعطاه ثــلاث حبات من الجنة ، من شجرة معرفة الخير والشر) وأخبره أنه عندمــا يحمل هذا الفرع الثمار ، فإن جسد آدم لا يصاب بأذى . وزرع شـيث الفرع على قبر أبيه ، ونما الفرع نموا غير عادي . وقد أنجز موســى معجزاته في مصر ، وفجر الماء من الصخر بواسطة فرع من أفـــرع الشجرة النامية . وتحت هذه الشجرة جلس داود ينعي آثامــه . وفـــي عهد سليمان فاقت الشجرة كل أشجار لبنان، وبناء على طلبه قطعـــت الشجرة لتستخدم في بناء المعبد ، ولكن العارضـــة الأخيـــرة منـــها قاومت العمال بأن أخذت تقصر في بعض الأحيان وتطول في أحيـــان أخرى . وغضب سليمان ورمى بها في مجرى نهر سيدرون بحيـــث يدوسها كل من عبر النهر . وعندما وصلت ملكة سبأ إلى بلاطــه مع

بطانتها كانت العارضة تمثل جسرا لكن الملكة لاحظت أنها مجوفة ، ومن ثم رفضت أن تمشي فوقها مفضلة أن تخوض في مجرى النهر ..) [١] إلى آخر الأسطورة .

وقد عقب بانتج جولد على هذه الأسطورة بقوله : (هذه هي " **أسطورة العبور** " ، وهي تعد أكثر الأساطير جموحا لخيالات العصور الوسطى) [٢] .

ولاحظ من هذا ما يلي :

١ – الأسطورة وضعت بذورها في العهد القديم [٣] .

٢ – ثم نمت وتطورت في العصور الوسطى .

٣ – اعتبرت هذه الأساطير مشروعا فنيا للرسامين الغربيين لغنائها بعناصر الخيال الأسطوري الفذة .

وتعدت بذلك الأسطورة من الفكر الديني إلى نطاق الفن الشعبي، والقصص الروائي ، والرسم والنحت .

ولعله بهذا تأكد اعتراف نقاد أهل الكتاب من علماء مقارنة الأديان بوجود الأساطير في العهد القديم وتطورها ونموها فيما بعد لتشمل العهد القديم ، ثم العصور المتأخرة . وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه واتفق معنا فيه علماء الديانة الكتابية من أن الأسطورة كانت "خصيصة " من خصائص الفكر الديني اليهودي بوجه خاص والكتابي بوجه عام .

---

(١) الماضي المشترك بين الإسلام والغرب : أ.ل رانيلا ص ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .
(٢) المرجع السابق نفس الصفحة .
(٣) وهذا عن طريق التأثر بموروثات البيئات التي سكن فيها اليهود .

الفصل الخامس

السادِيَّة والسَّيكوباتِيَّة

(العدوانية والعنف الدمـــوي)

الفصل الخامس

السادية والسيكوباتية

تعتبر " **النزعة السادية والسيكوباتية** " خصيصة من خصائص الفكر الديني اليهودي تفرد بها وتفردت به دون غيره من الأفكار الدينية أو الأديان التي تقترب منه أو تنأى عنه .

إنه فكر منفرد في أطوار الفكر الإنساني ، ونتاج من أخطر نتاج العقل البشري على تاريخية الإنسان في القديم والحديث ، يتهدد الوجود والقيم والأخلاقيات ، بل والأديان بوجه عام .

وقبل أن نشرع في بيان معنى هذه الخصيصة ونقيم الأدلة من المصادر اليهودية على صحة استنباطنا لها، وتأصيلنا إياها كأحد خصائص الفكر الديني اليهودي أود أن أبين المعنى الذي أوضحته الدراسات النفسية لمعنى " **السادية والسيكوباتية** " .

إنهما في منظور علم النفس شخصيتان مرضيتان خطيرتان تتهددان الأمن والاستقرار الاجتماعيين ، وتجسدان الحقد الطاغي والعدوانية الظالمة للجنس البشري .

إنهما ارتكاز لمحور الـ (**أنا**) المركوز في الشخصية المرضية والتفرد بالوجود ، وحتمية محو " الأغيار" أو على الأقل استذلالهم واسترقاقهم ، بل ووطأ رؤسهم والانتشاء بالتفرد الوجودي الأبدي .

إنهما اعتلاء على كومة هائلة من جماجم الأعداء المزعومين .

ويؤيد هذا التفسير نظريات علم النفس وتحليلات العلماء المختصين ..

مفهوم السادية :

فالسادية في نظر هؤلاء تعني (شخصية أمرها عجيب وسلوكها في الحياة غريب ، والأساس الذي تقوم عليه حياته وعلاقاته بالآخرين القسوة والعنف .. وهو في كل الأوقات يلجأ إلى القسوة البدنية والعنف الشديد الذي يحقق إيذاءا فعليا لكي يفرض سيطرته على الآخرين .

وهو لا يلجأ إلى هذه القسوة الجسدية من أجل تحقيق هدف معين كأن يعتدي على شخص ما ليسرقه أو لينتقم منه ، ولكنه يفعل ذلك لمجرد تحقيق سيطرته المطلقة في هذه العلاقة ، ولكي يظل الطرف الآخر المعتدى عليه خائفا منه .. فهو عنف هدفه العلاقة ذاتها وليس شيئا آخر .

** إنه يحتاج نفسيا إلى علاقة يكون هو فيها الجانب الأقوى المرهوب ، وأن يكون الطرف الآخر هو الضعيف الخائف ، وذلك لا يتحقق إلا بأن يبطش بعنف هذا الطرف الآخر . وبذلك تستمر هذه العلاقة تحت التهديد المستمر من جانبه ..

** ومشاهدة الآخرين وهم يتألمون من إيذاء جسدي أو معنوي يحقق له قدرا كبيرا من المتعة بما في ذلك ألم الحيوانات ، ويميل إلى ممارسة الهوايات التي تشتمل على قتل الحيوان ويتلذذ بمتابعة الحيوان

وهو يموت ألما .

** ويلجأ إلى الكذب إذا كان ذلك سيؤذي الآخرين ويميل إلى إحـداث الوقيعة بين الناس وإطلاق شرارة العداوة والعنف بسـبب افتراءاتـه وأكاذيبه .

** وهو يتطلب من الآخرين أن يطيعوه طاعة عمياء ووسـيلته فـي ذلك إخافتهم وإرهابهم ، ويرفض تمامـا أي معارضـة ، أو أي رأي مخالف ، ويشتاط غضبا إلى حد العنف غير المحدود للإطاحـة بمـن يختلف معه ، ويعتاد الآخرون أن يوافقوه خوفا ورهبة .

** وهو يتلذذ بتقييد حرية الآخرين والتحكم المطلق في تحركاتـهم .. وهو يتلذذ أكثر وهو يراهم يتألمون لحرمانهم مـن حقوقـهم ، وهـم عاجزون عن الدفاع عن أنفسهم وهو لا يسعده تطبيق اللوائح والقوانين حتى وإن كانت في صالحه ، وإنما يسعده حقيقة البطش والتعسف .

** ويبدي إعجابه بأساليب التعذيب وبأنواع الأسـلحة الفتاكـة التـي تعذب الإنسان قبل قتله ، وتشده أفلام العنف وأخبار الحروب ويتسرب السرور إلى نفسه حين يسمع بمعاناة الناس من ظلم وبطش أو مجاعة

** إنه كلما أمعن الناس في الحديث عن قسـوته وجبروتـه .. ازداد سعادة وانتشاء، ويعوضه ذلك عن كثير من رغباته المفقودة ..) [١] .

---

[١] مشكلات نفسية : د. عادل صادق [٢ / ٥٠ – ٥٦] كتاب اليوم الطبي ع (١٠٦) نوفمبر ١٩٩٠م .

وهذا التحليل النفسي يبدي جوانب وظواهر هذه الشخصية المرضية ، ويميط اللثام عن كوامن العدوانية المستقرة في أغوار النفس وأعماق الذات .

الدافع أو العلة :

وتومئ التحليلات النفسية إلى علة هذه المرضية في ضوء الفعل ورد الفعل المعاكس فتقرر أن (السادي يعاني الخوف .. يشعر بالتهديد .. يخشى أن يحل به عقاب .. يخشى إيذاء الآخرين له .. يتوقع هجوما وشيكا عليه .. ولذا فهو يبادئ بالهجوم والعنف والإيذاء .. وحين يرى الخوف والرعب في عيون الآخرين يطمئن) [1] .

إن الدافع أو العلة لهذه الشخصية المرضية هو " **رد الفعل المعاكس**" ، فالخوف لديها "**عقدة** " تدفع إلى الهجوم والانتقام والإذلال للآخرين . وليس رد فعل انطوائي أو تقوقعي ، وهي في هجومها تتعالى على الدين والأعراف والتقاليد ، ودينها هو الجبروت والبطش والظلم ، والقهر والاستبداد .

مفهوم السيكوباتية :

أما عن التحليل النفسي " **للشخصية السيكوباتية** " الذي يوقفنا على المظاهر المرضية لهذه الشخصية، ويعرفنا بها فيتمثل في هذا التقرير الذي أجراه علماء الطب النفسي والذي ينص على أن " **السيكوباتي** " هو

---

(١) المصدر السابق .

(الشر على الأرض ... هو الشيطان في صورة إنسان .. هو التجسيد لكل المعاني السيئة والقيم الهابطة .. هو الحقد والأنانية والانتهازية والعدوانية والكراهية والإيذاء .. هو الجانب الأسود للحياة على الأرض ، ومجهض لكل المعاني الجميلة والجوانب المضيئة للإنسانية .. رائد وراعي الظلم ، ومهندس الخيانة ، وحامي الرذيلة .

** لا قلب له ولا عواطف ولا مشاعر ولا أحاسيس ... لا شئ بالمرة وإنما ملذاته وأهواؤه ورغباته وأطماعه وشهواته هي التي تقوده وتحركه ، وكلها شهوات مادية حسية تسلطية .. لا يضحي من أجل أحد ، وإذ أظهر تأثرا فهو كاذب .. إنه تماما كالممثل يظهر تعبيرات الحزن والألم على وجهه ، ولكنه لا يشعر بداخله بشئ على الإطلاق .

** يخون أصدق صديق .. يتسلق فوق كتف أقرب قريب .. يدوس على عنق أعز عزيز ... المهم أن يصل إلى هدفه .. أو يعلو ... أن يحقق طموحاته .. ينسى من ساعدوه ، بل يتحاشاهم ويهرب منهم ويتنكر لهم حتى لا يشعر أنه مدين لأحد .

** إن السمة الأساسية لهذه الشخصية التي تتمحور حولها كل السمات هي الانتهاك الدائم والمستمر لحقوق الآخرين .. فهو في معركة مستمرة ، أو ينتقل من معركة إلى معركة .. وكل معركة لابد أن يخرج منها منتصرا ورابحا ، وأن يخرج الآخرون منهزمين خاسرين.

لا يطيق ولا يسمح أن يكسب أحد أمامه أو بجواره .. ويلجأ إلى كـل الوسائل غير المشروعة لإلحاق الخسارة والضرر بالآخرين .

** أهم مبدأ أو شعار له هو " **الإتحاد والتعاون مع الشـيطان** " مـن أجل مصلحته .. يخون كل المبادئ .. يخون دينه .. يخون أمانة العلـم .. شعاره " **أنا ومن بعدي الطوفان** ") (١)

(إنه لا يتورع عن إيذاء أي إنسان بـلا شـفقة أو رحمـة .. فينهب مال اليتيم ، ويسرق مال المريض ، ويهتك عرض الصديـق ، ويبيع أسرار الشريك والزميل .. ولا يهتز وهو يصنـع مـن رؤوس أصدقائه وزملائه وممن وقفوا بجانبه وساندوه جماجم ليصعـد عليـها ويصل إلى القمة) (٢) .

وأعتقد أن هذا كاف في تفسير معنى " **السادية والسـيكوباتية** " ويهمنا هنا المظاهر العامة للشخصية المرضية التي تقربهما وتجعلـهما تبدوان كما لو كانتا مظهرين لشخصية واحدة .

الارتداد إلى الشخصية الفكرية للفكر الديني اليهودي :

إن المشكلة تبدو أهون ما تكون إذا كانت الشخصية المرضيـة شخصية فرد أو مجموعة أفراد أما أن تتعدى النطاق الفردي أو المجموعـة المصغرة لتشكل ظاهرة مرضية للأمة بأسرها فتلك نكبة خطيـرة في

---

(١) مشكلات نفسية . د. عادل صادق ص ٦٠ – ٦٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٧٠ .

حياة الإنسانية وجريمة كبرى في تاريخ البشرية .

كما تبدو أهون ما تكون إذا تعلقت بنتاج عقلي أحادي أو جماعي مصغّر أو مُبعَّض أما أن تتعلق بعقلية أمة فتلك انتكاسة خطيرة في مراحل وتطور الفكر الإنساني .

وتبدو أهون ما تكون لو أنها تعلقت بعقلية غير مكوِّنة أو غير مسئولة عن تكوينات عقلية لعقليات مغايرة،أما أن تتعلق بعقلية مكوِّنة مسئولة عن تركيبات عقلية وأنماط فكرية وقضايا ثقافية فتلك من كبريات المشكلات التي تستعصي على الحل .

ولأن تتعلق المشكلات بالأفكار فقط أهون من أن تتعلق بالأديان أو التدين عندما تصطبغ سلوكيات الأفراد ، وإفرازات الأخلاق غير السوية بصبغة الدين ، فتظهر على أنها دين أو " **تركيبات دينية** " ، بل واجبات يجب الانصياع لها وتنفيذها !!

مكمن الخطورة :

ومكمن الخطورة في أن هذه الظواهر النفسية المرضية تغذيها، بل تعمل بقوة على تنميتها وتضخيمها قضايا الفكر الديني اليهودي ، بل مصادر الدين اليهودي ذاته .

إنها عنصر عامل في تكوين نفسية أمة باسم الدين جاءت لتسوِّغ الجريمة و"**حرب الإبادة** "و"**الاستئصال الجماعي أو الفردي**"

لكل ما هو غير يـــهودي ، أو علـــى الأقـــل إذلالـــهم واســـتعبادهم ، وتحقيرهم وإهانتهم والتنديد بهم ، وتشـــــريدهم واســـتلاب أموالـــهم ، وضياع حقوقهم وانتهاك حرماتهم ومقدساتهم .

وهكذا يعمل الفكر الديني اليهودي على تكوين شخصية تحـارب البشرية باسم الدين من أجل تحقيق الذات الذي يجب – حسب عقيدتـهم – أن يفنى فيه كل الشعوب ، وتهدد الاستقرار والأمـــن الاجتمـــاعيين باسم الحق المزعوم والسيادة المدَّعاة .

إنها " **ثورة عارمة** " على كـــل الأديـــان المغـــايرة لليهوديـــة والأجناس التي لم تَجْر في عروقها قطرات الدم اليهودي .

إنها التلذذ بإيلام الآخرين وتعذيبهم ، والحق الواجب في الانتقام للمحن التي أصابتهم في تاريخيتهم المظلمة .

إنها شخصية تمردت على الإله باسم القوة المزعومة فجعلتـــــه مصروعا وأعطت للبشر سمة التفوق عليه [1] أو الصمود أمامـــه !! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وتمردت على الأنبياء باسم الــ (أنا) اليهودية وتحقيق الذات وبناء الكيان الذي كانوا يطمحون إليه في فترات الشتات والمحن والإحن ، ويـــرون أن الدين يتقاصر عن تحقيقه ، وأن الأنبياء لم يحققوا لهم ذلك فقتلوهـــم وأساموهم العذاب .

---

[1] وقد سبق أن تحدثنا عن أسطورة مصارعة يعقوب المزعومة للرب وتفوقه عليه وبينا بطلانها .

وحتى نبي الله داو عليه السلام وابنه سليمان نبي الله عليه السلام ، وبالرغم من جهادهما في سبيل تمكين الدين وبناء الكيان والذات لم يسلما من التمرد عليهما بالطعن في طهارتهما ونزاهتهما وعصمتهما فرموا داود عليه السلام بالزنا وسليمان بالوثنية (١) !!

إنها شخصية تحطم رموز الإعلاء والتطهير ، وتأبى إلا أن تَسِمَ كثيرا من الأنبياء وأولادهم بسِمَة جنسية قذرة ، أو انحرافات أخلاقية بذيئة أو تمرد على الدين !!!

وأعتقد أنهم لم يلصقوا هذا بهم عليهم السلام ، ولم يرموهم بهذه المفتريات إلا تبريرا للجريمة وترويجا للفاحشة التي كانوا يطمحون إليها .

ونحن إذ نقرر هذه الحقيقة لسنا مُدَّعين أو مفترين لأنها مقترنة بالحجة قائمة بالبرهان والدليل . وأبين هذا فيما يلي :

١ - إنجيل برنابا يندد باتهامات اليهود لنبي الله عيسى عليه السلام وانحرافاتهم .

قال نبي الله عيسى عليه السلام لبني إسرائيل (.. ولكن تبغضونني وتطلبون أن تقتلوني (٢) لأني أقول لكم الحق قال رئيس

(١) وسبق تفصيل ذلك ونقده وبيان بطلانه .

(٢) وقد حاولوا بالفعل قتله وشرعوا في هذا واعتقدوا أنهم قتلوه ولكن الله تعالى رفعه إليه ونجاه منهم (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّهَ لهم) النساء : ١٥٧ .

الكهنة : نعلم الآن أن وراء ظهرك شيطانا لأنك سامريٌ ولا تحترم كاهن الله) [١] !!

٢ – كما يقول عليه السلام مُنَدِّدا بهم : (فقد فسدت كل نبوة حتى أنه لا يطلب اليوم شئ لأن الله أمر به ، بل ينظر إذا كان الفقهاء يقولون به والفريسيون يحفظونه كأن الله على ضلال والبشر لا يضلون . فويل لهذا الجيل الكافر لأنهم سيحملون تبعة دم كل نبي وصديق مع دم زكريا بن برخيا الذي قتلوه بين الهيكل والمذبح . أي نبي لم يضطهدوه ؟ أي صديق تركوه يموت حتف أنفه . لم يكادوا أن يتركوا واحدا ، وهم يطلبون الآن قتلي) [٢]!!!

٣ – قال عيسى عليه السلام لأهل أورشليم : (يا أورشليم ، ياأورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها) [٣] .

٤ – وقد أيد القرآن الكريم ما قاله عيسى عليه السلام ، وبكت اليهود وعاب عليهم قتلهم الأنبياء في مواضع كثيرة منها قول الله تعالى : (الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم

---

(١) إنجيل برنابا ترجمة د. خليل سعادة تقديم السيد محمد رشيد رضا وعرف به د. أحمد حجازي السقا.الفصل : ٢٠٦ ص ٢٩٤ دار البشير للطباعة . القاهرة ١٩٩٥م .

(٢) إنجيل برنابا فصل : ١٨٩ فقرة : ١١ – ١٦ .

(٣) أورشليم قاتلة الأنبياء . محمود الشرقاوي ص ١ مكتبة الأنجلو المصرية والمطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٨م .

إن كنتم صادقين) [١] .

ومن هؤلاء الأنبياء نبي الله (زكريا ويحيى وشعيا وسائر من قتلوا من الأنبياء) [٢] .

على أن القاتل هم أسلاف اليهود وليسوا المعاصرين منهم لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنما نسب إليهم لأنهم رضوا به [٣].

وتجد بذلك تصريحات في العهد القديم فقد جاء فيه : (وأنتقم لدماء عبيدي الأنبياء ودماء جميع عبيد الرب) [٤] .

٥ – ومما يدل على هذا ما وضعه اليهود في التوراة من نصوص ، وما نسجوه فيها من أفكار تعطي لهم الحق المطلق في قتل كل الأمميين (الأجناس المغايرة للجنس اليهودي) بل تعطي لهم الحق المطلق في إبادتهم واستئصالهم من الوجود ، إذ توجب عليهم بعد الانتصار على شعب ما وبعد مبادرة اليهود إياهم بالغزو على طريق الإيجاب " **أن يضربوا جميع رجالها البالغين بحد السيف** " فلا يبقوا على أحد منهم ، ويسترقُّوا جميع نسائها وأطفالها ، ويستولوا على ما فيها من مال وعقار ومتاع ، أو ينهبوه نهبا حسب تعبير أسفارهم ...

---

(١) آل عمران : ١٨٣ .
(٢) تفسير القرطبي [٢ / ١٦٣٧] دار الغد العربي ط ٢ عام ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
(٣) روح المعاني للإمام الألوسي م١ ج ٢ ص ٣٢٤ دار الفكر بدون تاريخ . وتفسير الطبري ١/ ٦١٧ دار الغد العربي بدون تاريخ .
(٤) سفر الملوك الثاني إصحاح : ٩ فقرة : ٩ من العهد القديم .

كما يباح للإسرائيلي ان يمتص غير الإسرائيلي ، ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش .

ومنها أن الرق المضروب على الإسرائيلي يكون مؤقتا بينما يكون الرق المضروب على غير الإسرائيلي يكون مؤبدا ، بل إن أسفارهم تقرر أن شعب كنعان قد كتب عليه في الأزل أن يكون رقيقا لبني إسرائيل ، وأنه لا ينبغي أن يكون لأفراد هذا الشعب وظيفة ما في الحياة غير هذه الوظيفية ، فإن تمردوا عليها أو طمحوا إلى الحرية وجب على بني إسرائيل أن يردوهم إليها بحد السيف) [١] .

وقد سبق أن سقنا من قبل بعض النصوص في خصيصة العنصرية ، وأرى أن أسوقها هنا للاستشهاد به على هذه الخصيصة التي نحن بصدد بحثها .

ومما جاء في ذلك :

(وإذا تقدمت إلى مدينة لتقتلها ، فادعها أولاً إلى السلم فإذا أجابتك بالسلم وفتحت لك أبوابها ، فكل القوم فيها يكون لك تحت السخرة ويخدمك ، وإن لم تسالمك بل حاربتك ، فحاصِرْها وأسلِمْها

---

[١] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . د. علي عبد الواحد وافي ص ٤٠ ، ٤١ . وراجع سفر التثنية . إصحاح : ٢٠ فقرات : ١٣ ، ١٤ ، وسفر اللاويين إصحاح ٢٥ فقرة ١٢ . وسفر التثنية إصحاح ١٥ فقرات ٢ ، ٧ – ١١ ، إصحاح ١٥ من سفر التثنية فقرة ٣ ، وإصحاح ٢٣ فقرة ٢٠ .

هذه الفقرات ذكرها د. علي عبد الواحد وافي في هذا الصدد.وقد قمت بمراجعتها ومطابقتها بمصادرها . وراجع كتب الشريعة الخمسة ص ٣٨٩ .

الرب إلهك إلى يدك ، فاضرب كل ذكر بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاها الرب إلهك إياها .

هكذا تصنع بجميع المدن البعيدة منك جدا والتي ليست من مدن تلك الأمم هنا.وأما مدن تلك الشعوب التي يعطيك الرب إلهك إياها ميراثا فلا تستبق منها نَسَمة ...) [١] .

وإذا كان حق من قاتل أن يقتل فما ذنب من لم يشترك في القتال ؟! إنها إذن " **لغة الإبادة والاستئصال** " والإذلال والاستعباد ، وانتهاك الحقوق والحرمات ...

إنها جرائم ترتكب باسم الدين في حق الإنسانية وهذه النصوص تؤصِّل للعنف ، وتروِّج للاستئصال لجميع الأجناس غير اليهودية وإهدار دمهم !!

فهذا الدم المراق بلا ذنب ولا جريرة لا قيمة له ولا وزن في توراة اليهود وما هذه النفوس إلا نفوسا عفنة .

وفي دراسته النقدية للعهد القديم يقول " ول ديورانت " مؤصلا لنزعة العنف الشرس التي تَصِم الفكر اليهودي بالوحشية : (ويعرف جميع قراء التوراة وحشية اليهود التي لا أثر للرحمة فيها ، وما على القارئ ليقنع بذلك إلا أن يتصفح نصوص سفر الملوك التي تدلنا على أن داود كان يأمر بحرق المغلوبين وسلخ جلودهم ونشرهم بالمنشار

---

(١) كتب الشريعة الخمسة سفر التثنية إصحاح ٢٠ فقرة ١٠ – ١٧ ص ٣٨٨ .

وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قل ، وكان الأهالي الأصليون يوقفون فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة فيبادون باسم (يَهْوَه) من غير نظر إلى الجنس ولا السن ، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء) (١) .

نبي الله داود عليه السلام المفترى عليه:

وبافتراء محض ينسبون أفعالهم ودمويتهم ووحشيتهم هذه إلى نبي الله داود عليه السلام ليصبغوها بالصبغة الدينية ، ويلبسوا العنف وشاح الدين ، ثم يخرجون على الناس ذئابا في جلود نِعَاج .. وسفاحون في مُسُوح الرهبان !!

وثمة نصوص عديدة في العهد القديم تؤصل لهذه النزعة الإنسانية على لسان الرب (فتضربون كل مدينة محصَّنة ، وكل مدينة مختارة وتقطعون كل شجرة طيبة وتضمون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة) (٢) .

وقد تم ذلك بالفعل كما يصرح به فقرات سفر الملوك الأول.

إن هذا العنف الدموي كان أساسا انبنت عليه بعض عقائدهم وعباداتهم تأثر بالوثنيين ، ومنها ذبح الأبناء قربانا للرب ، ولم يَرْعَوْ عن ذلك رغم تنديد أنبياء العهد القديم به (٣) .

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات : جوستاف لوبون . ترجمة عادل زعيتر ط عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٧٠م .

(٢) سفر الملوك الثاني إصحاح ٣ . فقرات ١٩ – ٢٧ .

(٣) وقد عقد د. فتحي الزغبي فصلا كاملا عن هذا بين فيه الجرائم التي ارتكبها اليهود في حق البشرية من كتابه القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود ض ١٥٨ مطابع غباشي . طنطا ط (١) ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م ، وقد ناقش ذلك ، وبين بطلانه وافتراءات اليهود على الله تعالى فيه .

وقد لعب التلمود دورا كبيرا في تعميق هذه النزعة في الشخصية اليهودية بوجه عام عندما ربط بين استنزاف دم البشر من غير اليهود (وخلطه بعجين الفطير المسمى عندهم بـ " المقدس " الذي يتناولونه في أعيادهم وأفراحهم الدينية زاعمين أن هذا أفضل ما يتقرب به اليهودي إلى ربه وما تَقَرُّبه عين إلاههم)[1] وهذا يعكس مدى ما آلت إليه عقائدهم من انحراف ووحشية .

وهكذا (يتعبد اليهود بشرب دماء البشر من غير اليهود ولا سيما المسيحيين والمسلمين وباستباحة أرواحهم وأعراضهم ووجوب خيانتهم والغدر بهم وغشهم ، واجتناب إغاثة أحد منهم أو إنقاذه أو مداواته إلا للتجربة أو للاضطرار أو سترا للمقاصد والعقائد اليهودية السرية إلى غير ذلك من العقائد المنكرة الخطيرة القائمة على الحقد العام والامتهان لبني البشر أجمعين)[2] .

(وهكذا – كما يقول السير رتشارد بورتون – فإن أهم نقطة في المعتقدات اليهودية هي أن الأجانب أي الذين لا ينتمون إلى الدين اليهودي ليسوا سوى حيوانات متوحشة حقوقها لا تزيد عن حقوق

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام د. علي عبد الواحد وافي ص ٣٤ بتصرف شديد. وراجع القرابين البشرية والذبائح التلمودية د . فتحي الزغبي ص ١٩٣ حيث عمق هذا المعنى في معرض النقد والتفنيد وبين فساده وبطلانه وانحرافه .

(٢) القرابين البشرية د. فتحي الزغبي ص ١٩٣ . وراجع : إظهار سر الدم المكتوم للحاخام ناوفيطوس ترجمة توماس البغدادي بذيل كتاب القرابين البشرية من ص ٢٦٧ – ٢٩٠ . وعن علاقة اليهود بغير اليهود راجع مقارنة الأديان اليهودية والمسيحية د. أحمد شلبي [١/٢٧٦] النهضة المصرية ط (٦) عام ١٩٨٣م .

الحيوانات الهائمة في الحقول) [١] .

وبما أن اليهود يساوون أنفسهم بالعزة الإلهية ، فالدنيا وما فيها ومن فيها ملك لهم ، ويحق لهم التسلط على كل شئ فيها ، والسرقة غير جائزة من اليهودي ، ومسموح بها إذا كانت من مال غير اليهودي لا تعتبر سرقة ، بل استردادا لمال اليهودي الذي يبيحه الدين اليهودي ويحلل سرقته ..

(وعلى اليهودي أن يقتل الصالح من غير الإسرائيليين ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدا من الأجانب من هلاك ، أو يخرجه من حفرة وقع فيها ، بل عليه أن يسدها بحجر ، فمن العدل أن يقتل اليهودي كل كافر ، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا إلى الله ، وليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم) [٢] .

وجميع الأجناس الأخرى المغايرة للجنس اليهودي – في نظر اليهود – كافرة من ثم أوجب عليهم التلمود قتلهم وإبادتهم .

إلى هذا الحد تأصلت نزعة العنف والإجرام التي تدفع إلى الإبادة والاستئصال والتي انطوت عليها النفسية اليهودية .

---

(١) بنو إسرائيل د. محمد بيومي مهران ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ دار المعرفة الجامعية . الإسكندرية ١٩٩٩م .
(٢) المرجع السابق .

إذا حاولنا المطابقة بين هذه النصوص ومعطياتها وقضاياها الكبرى والتي تمحورت حول الشخصية اليهودية وبين سمات الشخصية السادية والسيكوباتية سنجد أن هناك انطباقا تاما في الاتجاهات والميول ، كما سنجد انطباقا تاما في الدوافع .

فقد أدركت معي كيف أن الفكر اليهودي يجعل من اليهودي وحشا شرسا ، وشيطانا مريدا ينثر الشر ، ويندد بالخير ، ويهدد بالإبادة،وينتهك الحرمات والمقدسات ، ويعتدي على الحقوق والواجبات ، ويقيس الحياة بمقاييس هذه الشخصية التي تمثل ظاهرة مَرَضيَّة خطيرة-لتلك الأمة ، إنها توجب عدم تقديم الخير للبشرية ، بل تجرِّم من يقدم الخير للمحتاج وإنقاذ المضطر ، إنها تتقرب إلى ربها بدماء البشر وتعلو على جماجمهم .

إنها النفعية المطلقة ، والأنانية الفذة ، والشر المستطير .

أما إذا ما حاولنا أن نغوص في أعماق هذه الشخصية المرضية الخطيرة لنتحسس مواطن العلة التي دفعت بها إلى هذا المآل الخطير سنجد أنها تندفع " **بعقدة الخوف** " التي ظلت مركوزة في نفوس الأسلاف وتعمقت في قلوب الأخلاف .. الخوف من التشريد .. الخوف من الضياع ... الخوف من التعذيب والقتل .. الخوف من الامتهان والسخرية والإذلال والاستعباد .. الخوف من ألا يجتمعوا أو يفترقوا بعد اجتماع طالما تاقت نفوسهم إليه .. الخوف من الارتداد إلى الماضي والمكث في عمق التاريخ !!

فلقد لفظتهم كل الأمم ، وطردوهم من أرضهم ، وحاربوهم ونكلوا بهم ، وفي ضوء الفعل والفعل المضاد ، أو الفعل ورد الفعل اندفع اليهود بساديتهم وسيكوباتيتهم يكرهون التاريخ نفسه ، ويتمنون أن لو يمحوه أو يعيدوا صياغة أحداثه صياغة فعلية . وأن يمسكوا بأقلام القدر ليكتبوا على البشرية دونهم الفناء المطلق أو الشقاء الدائم .

ونلمس هذا الدافع من نصوصهم الدينية ، ففي سفر الملوك الثاني يقول حزائيل رسول ملك أرام (بنهدد) لأليشع عندما رآه يبكي (لماذا يبكي سيدي . فقال : لأني علمت ما ستفعله ببني إسرائيل من الشر فإنك تطلق النار في حصونهم ، وتقتل شبابهم بالسيف ، وتحطم

أطفالهم وتشق حواملهم . فقال حزائيل ومن هو عبدك الكلب حتى يفعل هذا الأمر العظيم) (١)

إنها سيطرة " **عقدة الخوف** " على كتبة العهد القديم" والرغبة الجامحة في الأمن والاستقرار ، وسرعان ما تتحول هذه الرغبة في الأمن إلى رغبة في الهجوم على غير اليهود والمبادرة بقتالهم واستئصالهم من الأرض أو على الأقل إرهابهم حتى لا يفكروا في قتالهم أو إهانتهم !!

إنه نفس الدافع الذي يدفع السادي والسيكوباتي إلى العنف والرغبة الجامحة في الانتقام .. إنه يمثل انعتاقا من " **الدونية** " المركوزة في نفسه و" **الانهزامية** " المسيطرة على أفعاله ودوافعه وثورة على عقد النقص المركبة في شخصيته .

فقد أحالت هذه العقدة النفسية في ذاته الأمن إلى اضطراب والطمأنينة إلى خوف ، فانطلق منها بعنف مبالغ فيه وردود أفعال عدوانية مركبة جسدت الدموية في شخصه والشراسة في طبعه فصار ذئبا مفترسا على البشرية كلها ..

إنه يحاول أن يتخلص من تاريخيته (١) التي تمثل ركاما من

---

(١) سفر الملوك الثاني : إصحاح : ٨ . فقرة ١٣ ، ١٤ .

(١) لقد مر اليهود بفترات تاريخية عصيبة لم تعشها أمة من الأمم في القديم ، فطردوا وتشردوا ويرجع هذا إلى عدم انسجامهم واستعدادهم النفسي للانخراط مع أي شعب ، وتمردهم ومكرهم وحقدهم على الآخرين . وقد استعرض أ. محمد عزة دروزة تاريخهم من خلال أسفارهم أسماه تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م فارجع إليه ففيه =

صراعات في ذاته كان فيها منهزما . وهذه الاندفاعية البغيضة تغذيها قسوة القلب التي طبع بها اليهود فأبعدتهم عن دائرة الإيمان الحق ، وأوقعتهم في شراك الوثنية ، ودفعتهم إلى التمرد على الأنبياء وقتلهم . وقد عاقبهم الله تعالى بأن سلط عليهم الأمم فأساموهم سوء العذاب .

قال تعالى : (ثم قَسَتْ قلوبُكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشّقّق فيخرج منه الماء وإن منها لما يَهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون) [1] .

إنها رد فعل لشبح الانتقام الذي يملك جنباته ، ويشيع في نفسه أفظع طرائق التعبير عن الذات وتفسير الوجود ، وتمكين نزعة الـ (أنا) وتركيزها في النفس بحيث لا تقبل بعد زحزحة أو انثناء أو انفراجا للغير .

لقد أخافوا الأنبياء وأفزعوهم فسلط الله تعالى عليهم من أخافهم وقض مضاجعهم .. وقتلوهم ، فسلط الله عليهم من قتلهم وشردهم .. وتمردوا على الله فضرب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب منه تعالى .

= فائدة كبيرة . وقد اكتفينا بالإشارة إليه هنا لأننا لسنا بصدد بحث من أبحاث التاريخ وإنما حسبنا الاستدلال فقط .

(1) البقرة : ٧٤ .

الفصل السادس

خصيصة الاضطراب

الفصل السادس

خصيصة الاضطراب

" **خصيصة الاضطراب** " واحدة من الخصائص التي اختص بها الفكر الديني اليهودي ، وتسهم إسهاما فعالا في تحديد هويته وماهيته من حيث الانطباعات والتكوينات والأطوار والجواهر والأعراض والثبات والتحول ، والانسجام والتفكك ، والوحدة والانشطار ، والتاريخية والوهم ، والحقيقة والادعاء ، والعمق والسطحية ، والأصالة والاقتباس ، والسيطرة والخضوع ، والمسلَّمات والجدليات ، واليقينيات والظنيات .

كل هذه التفسيرات العقلية تحدد أطر الاضطراب في الفكر الديني اليهودي ، وتحدد النشأة والمآل .

على أن هذه التفسيرات العقلية ليست مجردة من الحجة ، عارية من الدليل ، وإنما تنبثق من طبيعة النصوص الدينية للفكر اليهودي ، وتنطلق من السطح إلى العمق ، ثم ترتد لتعالن بهذه النتائج التي لا تقبل الشك ، ولا تكون مثارا للخلاف بعد أن أقرها نقاد أهل الكتاب بل مفكرو اليهودية ونقادها .

واضطراب الفكر الديني اليهودي حقيقة كامنة في نصوص العهد القديم تستقطب العديد من القضايا الكبرى التي تشكل الدين

اليهودي وتؤثر تأثيرا عميقا في فلسفته وتصوره ، وتسهم بصورة مضطربة في تكوين العقلية اليهودية ، وجدليات وتنظيرات علماء اللاهوت (الفكر الديني اليهودي) .

على أنها لا تقل خطورة في العهد القديم عنها في التلمود ، فكلاهما نزوع جارف إما إلى الوثنيات ، أو الماديات ، أو الأسطوريات ، أو العنصريات ، بينما يزعم المتعصبون من اليهود أنه يخلص فكر التوحيد من الشوائب ، ويتجه إلى تقوية الروح ، على عكس أقرانهم الذين فتحوا الباب للرؤى والدراسات النقدية .

وعمقوا من دور التجربة النقدية في بناء الفكر الديني اليهودي أو إعادة صياغته بالتأويلات التي تحتم عدم قبول قضاياه الكبرى قبولا مطلقا .

لكنهم يجدون صعوبة بالغة عندما يصطدمون بمسائل عقدية كالتجسيد والتشبيه و" الإثنينية " أو التعددية أو ازدواجية الإله الكامنة في نصوصهم الدينية وشروحهم المقدسة كاعتقادهم في " يَهْوَه " و" ألوهِيم " [١] .

ولم يجد الناقد اليهودي " اسبينوزا " عندما حكم العقل الواعي

---

(١) هذان المسميان عند اليهود يطلقان على الإله.وهم وإن اعتبروهما إطلاقان على إله واحد فإن كل إطلاق يميز أحدهما عن الآخر ، ويبين أن للإله عندما كانوا يطلقون عليه " يهوه " اختصاص يغاير ما كانوا يطلقونه على ألوهيم . راجع في علم اللاهوت الكتابي جرهاردوس فوس ص ١٨٥ ، ١٨٦ .
وإن كنا قد رجحنا فيما سبق (الفصل الأول) انفصال كل منهما عن الآخر واستقلال كل إطلاق بإله بعينه مستدلين بما توجبه شروح اللاهوتيين .

والمدرك وحاول تفسير بعض قضايا اللاهوت في العهد القديـــم ، لــم يجد مناصا من الاعتراف **بالاضطراب** " الذي يخلع على الفكر الديني اليهودي هالات من الغموض والشك ، ويشكك في إمكانية قبوله عقــلا قبولا مطلقا الأمر الذي حدا به إلى تحتم الرؤيـــة النقديـــة ، وتســليط احتواء النقد على قضاياه من خلال كتابـــه " رســالة فـــي اللاهــوت والسياسة " .

وهو ذات المنطلق الذي انطلق منه موريس بوكـــاي لتوجيــه نظراته الناقدة ورؤيته الفاحصة للتوراة والإنجيل ومقارنتهما بـــالقرآن الكريم ، وقد أبرز من خلال هذه الدراسة النقدية مدى اضطراب الفكر الديني اليهودي من خلال إثبات التناقضات والتحريفات في التوراة .

ومن ذات المنطلق راح الناقد "جـــارهردوس فـــوس" ليوجــه انتقاداته اللاذعة لما وقعت عليه عينه وما تأدى به فكره من مظاهر أو صور هذا الاضطراب الكائن معتمدا – إلى جانب رؤاه النقدية – على رؤى النقاد الذين عنوا بهذه القضايا الشائكة والصعوبات التي تعترض النظر العقلي في مصادر الفكر الديني اليهودي .

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء الكتابيين ، وإنما انداحت دائـــرة النقد في القديم والحديث أمام علماء مقارنة الأديـــان مـــن المســلمين الراسخين في هذا العلم ، وقد أثرت رؤاهم النقدية إلى درجة منقطعــة

النظير هذه الحركة النقدية لليهودية - إلى جانب النصرانية - وساهمت إلى جانب الآراء اللاهوتية النقدية في بيان طبيعة اليهودية واتجاهات الفكر اليهودي والمؤثرات التي أسهمت في تركيبته وساعدت على تضخمه بهذه الصورة المشينة .

ومن هؤلاء الإمام ابن حزم في الفصل والإمام الشهرستاني وابن قيم الجوزية ، والإمام القرافي ، والإمام الرازي في تفسيره من القدامى ورحمة الله الهندي وأحمد ديدات ، ود. علي عبد الواحد وافي والشيخ أبو زهرة وعباس محمود العقاد ود. علي سامي النشار ود. محمد البار ود. أحمد شلبي والأستاذ محمد عزة دروزة ، وغيرهم .

على أن النقاد الكتابيين قد اختلفت مناهجهم في رأب الصدع الذي سببه اضطراب الفكر الديني اليهودي والأزمة التي سببها .

فمنهم من حاول تفسير الاضطراب واعتمد " **التقريب** " بين وجهات النظر النقدية بناء على تأولات تقاصرت في الحقيقة عن تحقيق أهدافها ، بل إن " **التأويل** " ذاته كان عقبة أمام إزالة مظاهر هذا الاضطراب والقضاء عليه .

ومنهم من " **أثبت الاضطراب** " ، و" **أثبت استحالة تفسيره**" وتأويله لأن هذا سيؤدي إلى تعسفات وآراء تتجافى مع المنطق، وتتناقض مع العقل ، وتتأبى على الواقع .

وهؤلاء وأولئك في مواجهة من ثبت على موقفه وحاول ان ينفي الاضطراب نفياً قاطعاً لكنه ظل حبيس هذه التناقضات والتحريفات التي تسببت في إحداث اضطراب حاد هدد كيان اليهودية ووصم الفكر اليهودي بعدم الانضباطية والاتزان وقصوره عن التعبير عن قضايا الدين الكبرى .

وقد اعتمد هؤلاء في دراستهم النقدية على أمور منها :

أولهما : التعارضات النصية .

ثانيهما : التناقضات المعنوية العقلية .

ويسمى هذا وذاك نقد المتن .

ثالثاً : نقد السند .

نماذج الاضطراب :

هناك نماذج كثيرة في التوراة والعهد القديم تبدي بجلاء ووضوح مظاهر " اضطراب " الفكر الديني اليهودي المنبثق في أساسه من العهد القديم إلى جانب المصادر الأخرى .

ومن هذه المظاهر ما يلي :

أولاً : تفسير معنى الفداء :

إن المتطلع لآراء بعض النقاد الكتابيين في معنى الفداء سيجدها تناط بالعديد من الاستفهامات والتعجبات ، وذلك لتغاير مفهوم هذا المصطلح في التوراة عن مفهومه في باقي محتويات العهد القديم (١).

فقد اختلفت تصورات النقاد حول هذا المعنى ، بل اختلفت رؤى الناقد الواحد حوله ، ولم يجد مناصاً من الفروض والاحتمالات لإزالة المشكلات والتغلب على الصعوبات التي تعترضه في التأويل .

وتلمس هذا في نقد جرهاردوس فوس لمفهوم هذا المصطلح لدى اليهود إذ يقول : (... وأخيراً نجد كلمة " الفداء " تدخل في إطار الاستخدام الديني . أما الفداء ، فهو أكثر عمقاً من الإنقاذ والخلاص ، لأنه يعني استعادة المحبة لامتلاك شئ ، كانت تمتلكه سابقاً . ولا يوجد في العهد القديم أي إشارة تتصل بهذا المفهوم ، أي دفع الثمن

(١) على أن التوراة تصنف علمياً ضمن محتويات العهد القديم لكن ليست هي كل ما في العهد القديم ، فثمة أسفار وأسفار تتسق معها لتكون هذا العهد .

الفدائي ، إلا في صورة مجازية في مواضع متفرقة (أشعياء ٤٣:٣) أما المفهوم في الأسفار الخمسة عن الفداء فهو إعادة امتلاك الشئ الذي كان في حوزتنا قديماً . وإننا لنجد في الإصحاحات الأخيرة من إشعياء ، حيث الخلفية هي الخلاص من السبي ، تجد التعبير يتكرر وروده كثيرا ، أما الشواهد في الأسفار فهي (أي الأدلة على ذلك) خروج (أي سفر الخروج) ٦: ٦ ، ١٥ ، ١٣ ، وتثنية : ٧ : ٨ ، ٩ : ٢٦ ، ١٣ : ٥ ، ٢١ : ٢٨) [١] .

قصور التأويل عن إزالة مشكلة الاضطراب :

فالناقد هنا يجد صعوبة في فهم معنى الفداء وتحريره تتمثل فيما يلي :

١- الفداء في العهد القديم فيما سوى التوراة . معناه " الإنقاذ والخلاص " .

٢- الفداء في التوراة من العهد القديم معناه " إعادة امتلاك الشئ ".

وهذا يعني أن الفكر الديني اليهودي من خلال العهد القديم مضطرب إلى درجة كبيرة من حيث أن التوراة (الأسفار الخمسة) تضيق مفهوم الفداء ، أما سائر محتويات العهد القديم غير التوراة فتوسع دائرة الفداء .

فأنت إذن بإزاء مفهومين أحدهما "مُضَيِّق" والآخر " مُوسِّع"

---

(١) علم اللاهوت الكتابي ص ١٨٤ .

أو أحدهما " **عام** " والآخر " **خاص** " وأنت في كلا الاختيارين ستواجه صعوبات لأنك إن ارتضيت أحدهما سترفض الآخر ، وإن أثبت الآخر نفيت الأول .

على أن المفهوم الحقيقي للفداء هو مفـــهوم معنـــوي ، وليـــس مفهوم حسي ، بمعنى أن الفداء الحقيقي يعني : الإنقاذ والخلاص مـــن يد الأعداء أو من خطيئة ، ولا يعني إعادة امتلاك شـــيء ، لأن ثمـــة فارقا كبيرا بين لفظ (**الفداء**) ولفظ (**الإعادة**) .

فمدلول الفداء يغاير مدلول الإعادة .

في الأول أنت تفتدي من خطر .

وفي الثاني : أنت تمتلك شـــيئا . وفـــرق بيـــن " **الامتـــلاك** " و" **الخلاص** " ولو أتيت بأي مصطلح لغوي أو لفظة ما تفيد الامتـــلاك لتضعها موضع " الفداء " لن تؤدي نفس المعنى إن لـــم تتنـــاقض أو تتغاير من حيث المفهوم

فأنت إذن أمام " **مفهومين** " لمصطلح واحد أحدهمـــا " **حســـي مادي** " وهذا لا تسعفه اللغة ولا النص ، والآخر " **معنـــوي روحـــي**" وهذا ما تشهد له اللغة والنص فأيهما ستختار ؟!!

علما بأن " الفداء " لا يعني الامتلاك .

فمن أين إذا جاء إلغاء تخصيص الفداء ، أو إطلاقه من القيد ؟ هذه هي المشكلة والصعوبة ، وستزول عندما تعرف أن هذا الإلغاء أو الإطلاق هو توسيع لدائرة الفداء لتشمل إعادة الأرض والممتلكات المسلوبة إلى اليهود .

وهذا يعني أن اليهود كانوا يُخضِعون العهد القديم لحالاتهم النفسية بارتكاب الخطايا،وحالتهم السياسية بإعادة الأرض المسلوبة من الأعداء .

من ثم **اختلف** مفهوم " الفداء " باختلاف الأحوال النفسية والسياسية الأمر الذي أدى إلى اضطراب حاول بعض النقاد معالجته بالتأويل،لكن تَأَوُّلَه لم يسعفه ، فقد كانت تعوزه الحجة والدليل .

على أن الخلاص من السبي وهو المعنى الحقيقي (للفداء) لا يتضمن إعادة الأرض ، لأنه قد يتحقق بالكف أو بالهجرة إلى موطن آخر .

إن هذا المعنى كان من الممكن أن يكون صحيحا إذا استبدل لفظ " الفداء " بلفظ أعم منه يشمل الحسي والمعنوي معا كلفظ " الإعادة " مثلا ، فهو يحتمل الوجهين .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث فلم يبق إلا القول بأن تأول هؤلاء للألفاظ لإزالة الإشكال أو التناقض تَأَوُّل غير موفق ، ولا يعد إلا

ضربا من ضروب التعسف الذي يزيد الأمر صعوبة ، ويضاعف من قدر المشكلة .

ثانيا : الاضطراب والتناقض في تحديد ماهية " ألوهيم " و " يهوه " :

وهما إطلاقان أطلقهما اليهود على إلٰههم [1] في عصور مختلفة لا في عصر واحد،فكل منهما يمثل التصور العقدي في فترة زمنية محددة .

وقد سبق أن تناولنا هذه القضية في الفصل الأول بالنقد الموضوعي ولا حاجة لإعادته هنا .

لكن الذي أريد إضافته هنا هو التناقضات التفسيرية لهذين الإطلاقين والذي يتضح من خلال رفع إطلاق " يَهْوه " وإحلال لفظ " الرب " بدلا منه . ثم الاضطرار إلى العودة إلى الإطلاق الأول .

يقول الناقد جرهاردوس ڤوس : (وحلت الكلمة الأولى البديلة يقصد " **أدُوناى** " محل الأولى " **يَهْوه** " . وقد درج المترجمون على ترجمة كلمة " أدوناى " البديلة فظهرت كلمة " الرب " بديلا عن الاسم المقدس " يَهْوه " . ولو أن الترجمة الأمريكية المنقحة هي التي تنبهت للخطأ ، وأعادت كلمة " يَهْوه " مرة أخرى) [2] .

---

(١) وقد بينا فيما قبل أن هذا ازدواجية أو ثنائية في التفكير اليهودي وهو ما نرجحه . وسبق الإشارة إلى هذا في هامش سابق .
(٢) علم اللاهوت الكتابي ص ١٨٥ .

والاضطرار إلى العودة إلى إطلاق " يهوه " بدلاً من " أدوناى الرب يعني أن هناك عدم توافق وانسجام بين لفظ " الرب " ولفظ " يهوه " لما في " يهوه " من المعاني ما لا يستوعبه إطلاق " **الرب** " .

وقد مثل هذا مشكلة ألجأت المترجمين والشراح والنقاد إلى ضرورة ترك هذا الإطلاق " **أدوناى : الرب** " وإقصائه من الترجمة!!

إنها غيوم تخيم على الاتجاهات التفسيرية والترجمة للعهد القديم

وإن لم يتغير مفهوم الإله أو خصائصه بهذا الإحلال فما الذي اضطرهم إذن إلى هذا الإقصاء المتعمد للفظ " الرب " من الترجمة .

وأيا ما كان فإن هذا ان لم يكن اعتراضاً فلا أقل من أن يكون شكاً ، ومن ثم يواجه المفكرون اليهود مشكلة في هذا التفسير .

وستبقى المشكلة – على الأقل – قائمة كائنة إن لم يكن ثمة تعارض بين هذه الإطلاقات في التعبير بجدية عن خصائص الإله لدى اليهود ، وخاصة أن إطلاق لفظ " الرب " عند اليهود لا يفي بتصور ذاته وخصائصه في إطلاق " يهوه " . وترى فرقاً كبيراً بينهما تبدو ملامحه في العقلية اليهودية والتركيبة النفسية لليهود .

ويزداد الأمر تعقيدا عندما يقـــرر بعــض البــاحثين [1] (أن إطلاق " **يهوه**" لا يُعرَف إطلاقه على التحقيق . فيصح أنه مادة الحيـلة ويصح أنه نداء لضمير الغائب ، لأن بني إسرائيل كانوا يتقون ذكـــره توقيرا ويكتفون بالإشارة إليه ، ويصح غير ذلك من الفروض) .

ولعل هذا مكمن الخطورة وسبب الإشكال ، وربما يكون العلــة لعدم الاستقرار على مفهوم معين ومحدد لهذا الإطلاق الذي احتار فـي تحقيقه وتفسيره الباحثون والنقاد.ليس هذا فحسب،بـل إنـهم خرجـوا وتركوا الباب مفتوحا أمام ســائر الافتراضــات لإزالــة الالتبــاس ، والتوصل إلى مفهوم صحيح لهذا الإطلاق .

الاضطراب وتطور عقيدة الإله لدى اليهود :

ألا يكون هذا كافيا لإحداث اضطراب شديد يصيــب الاعتقــاد اليهودي في مقتل ، ويضع الفكر الديني اليهودي في مأزق حرج ؟!!

ولعل من صُور هذا الاضطراب – أيضا – المرحلية العقديــة في الفكر اليهودي ، أو ما يسميه بعض الباحثين"تطور الديانات"وبقطع النظر عن خطأ هذه النظرية واصطدامها بقواعد وأصول الدين الحق ، فإنها تبقى لتفسير تطور التفكير الديني اليهودي (فقد كان " **يَهْوَه** " إلٰه "قَبَلي" ينعم بإنزال العقاب الصارم علــى الغاشـمين مــن المصرييــن الظالمين لقومه ، وبعد ذلك أصبح إلٰها"شعبيا"مبيحــا إبــادة الأموريين

[1] العقاد في كتابه : الله ص ٨٣ .

الآموريين والكنعانيين ، وأمر بذبح المئات من مناهضيه من الكهنـــة ، ومن ثم رُفِع إلى مرتبة فريدة بوصفه الإله الواحد في كل العالم..)[1] .

وتبدو هذه المرحلية فيما يلي :

١ – " يَهْوَه " إله قَبَليّ .

٢ – " يهوه " إله شَعبيّ .

٣ – " يهوه " إله عالميّ .

وتفسير هذا بالاضطراب الفكري والتخبط العقدي أولى من حمله علـى التطور العقدي ، لأن العقيدة الصحيحة التي جاء بها جميع الأنبياء لـم تمر بمرحليات ، وإنما جاءت تعليما أوَّليا كلِّيا ، والذي يمكن أن نقولـه أن هناك لونا ما من الانتقال والتحول في الفكر الديني اليهودي مثــل صورة قوية مؤثرة من صور الاضطراب على أنه ليس مـــن أصــل العقيدة ، ومع هذا التطور فقد أخفق اليهود في تفسير هـــذا الإطـــلاق وغيره على إلٰههم حتى الآن .

لكن الصورة عندنا كمسلمين واضحة تماما في إطلاقاتنا علـى الإلٰه الحق إذ أنها ليست كإطلاقات اليهود ، فهذه الإطلاقات لا تعــدو كونها أسماء أو صفات ، أما أن تتعلق بالبحث في جوهر الذات فـــهذا ما لا يكون بحال لأن الإسلام نهانا عن ذلك .. لا لإفلاس منـــه فـي تصوره لعظمة الإلٰه الحق ، وإنما رحمة بالعقل ، وشفقة على الإنسان

---

(١) موسوعة مصر القديمة [٩ / ٥٥٠] .

من أن يرتد من رحلة البحث هذه تائها حائرا ، لأنه لن يصـــل إلـــى نتيجة في بحث " الذات الإلهية " لقصوره وإفلاسه .

فأَنَّى لناقص التصور أن يدرك كليا ، وأَنَّى لقـــاصر العقـــل أن يدرك كاملا ؟

ومن ثم قال تعالى : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) [1] .

فالقضية هنا "منعكسة" وهذا الانعكاس يقره العقل ، وتقطع بـــه البداهة : " **فالكلي المطلق** " ينبغي أن يكـــون فـــوق الإدراك ، وإنمـــا تلمس آثاره ، وتكون شاهدة على وجوده وإلهيته ووحدانيته .

---

(١) الأنعام : ١٠٣

ثالثا : الاضطراب في تقرير الإيمان باليوم الآخر

ومن صور الاضطراب في الفكر الديني اليهودي ومظاهره اضطراب العهد القديم في تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر، الأمر الذي حدى ببعض الباحثين إلى القول : [إن هناك اضطرابا وغموضا في عقيدة اليهود في اليوم الآخر ، فهي أقرب إلى الإنكار منها إلى الإقرار والإيمان .

ويرجع ذلك إلى اختلاف النصوص الواردة عن الآخرة بين التوراة والتلمود : فقد خلت أسفار العهد القديم من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه ، بينما ذكر التلمود في بعض فقراته الجنة والنار (ولكنها في صورة مضطربة أدنى إلى الخرافة والأساطير منها إلى حقائق العقيدة ، فتذكر هذه الفقرات أن الجنة تأوى إليها الأرواح وأنه لا يدخلها إلا اليهود ، وأن أهلها يطعمون من لحم أنثى الحوت المملحة كما يتناولون لحم طير كبير لذيذ الطعم ولحم أوز سمين ، وأن شرابهم فيها نبيذ معتق عصره الله في اليوم الثاني من الأيام التي خلق فيها العالم ، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين)] (١) .

فلماذا إذن سكت العهد القديم عن الإيمان باليوم الآخر، وإن

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام د . علي عبد الواحد وافي ص ٣٨ ، ٣٩ . وراجع في هذا : الإسلام والأديان دراسة مقارنة د. مصطفى حلمي ص ١٧٧ ، ١٧٨ دار الدعوة ط (١) ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

كانت هناك بعض الفقرات التي تشير إلى وجود جنة لكن ليست مثاراً لقضية إيمانية ، وإنما بيان للمكان الذي كان فيه آدم [١] ، ونطق به التلمود الذي هو نتائج قرائح أحبار اليهود ، وهذا يعني انفراد التلمود بهذه القضية العقدية الأمر الذي يبين مدى تغلغل العنصر البشري في الدين اليهودي ، والذي من شأنه إحداث هذا الاضطراب بهذه الدرجة فكيف يُقحِم الإنسان نفسه فيما لم يتحدث [٢] عنه إلٰهه .

ومعنى هذا أن الإنسان يثبت من التشريع ما لم يثبته الرب أو ما لم يكن مراداً له ، ويفرضه على أنه دين يجب أن يُدان به .

وأياً ما كان فإن بعض النقاد [٣] يرى أن (هذه الصورة في الكتب العبرية عن اليوم الآخر جاءت خافتة معللاً ذلك بأن هذه الكتب كانت مهتمة بالتنظيم الاجتماعي) .

وهذا بُعْد آخر يضاف إلى الأبعاد التي تفسر ظاهرة الاضطراب في الفكر الديني اليهودي ، ذلك أن عدم ظهور الفكرة يكون مدعاة للاختلاف الحاد والجدل النَّزّاع .

---

(١) سفر التكوين الإصحاح : ٣ .

(٢) حسب زعم اليهود ، وإلا فإننا نعلم علم اليقين أن اليوم الآخر كان قد اشتملت عليه توراة نبي الله موسى عليه السلام بدليل تركيز القرآن الكريم عليه في بعض جوانب قصصه،وعدم وجوده في التوراة يدل على التحريف .

(٣) مالك بن نبي في كتابه : الظاهرة القرآنية . ترجمة د. عبد الصبور شاهين ص ١٩٣ دار الفكر ببيروت .

يعرض النقاد وعلماء مقارنة الأديان وعلى رأسهم الإمام ابن حزم العديد من صور ومظاهر اضطراب الفكر الديني اليهودي التي تُرسِّخ هذه الظاهرة وتؤصِّل لها ، والتي تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الاضطراب كان خصيصة بارزة من خصائص هذا الفكر .

ومن هذه الاضطرابات ما يلي :

[أ] اضطراب التوراة في أعمار البشر :

وفي هذا يقول ابن حزم : (.. ذكر أن متوشالح بن حَنُوك بن مارد عاش تسعمائة سنة وتسعا وستين سنة ، وأنه ولد له " لامك " وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة ، وأن " لامك " المذكور إذ بلغ مائة سنة واثنين وثمانين سنة ولد له " نوح " عليه السلام . فلاشك من أن " متوشالح " كان إذ ولد له نوح ابن ثلاثمائة سنة وتسع وستين سنة فوجب من هذا ضرورة أن نوحا – عليه السلام – كان ابن ستمائة سنة إذ مات " متوشالح ") (١) .

ولعل ابن حزم يستند في هذا إلى تصريح القرآن الكريم بأن نبي الله نوحا عليه السلام لَبِث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما .. قال تعالى :(ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم [١ / ٢١٠] .

عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) [١]

على أن من المفسرين من ذهب إلى أن هذه المدة الزمنية المحددة في الآية القرآنية هي مدة الرسالة فقط ، وليست مدة تعمير نبي الله نوح – عليه السلام – في الأرض .

وهذا الرأي يستند إلى سياق الآية حيث قال تعالى : (ولقد أرْسَلنا ... فلبِثَ فيهم ....).والمعنى كما يقول الألوسي (لبث فيهم عُقَيْب الإرسال) [٢] ، لبث مرسلا فيهم ، وبالتأكيد تكون هناك فترة زمنية ساقطة قبل الرسالة وبعد الطوفان لم يشر إليها القرآن الكريم لأنه لا يُعنَى بالتاريخ ، وإنما يُعنَى بالرسالات ولولا أن ضلالهم في طول هذه الفترة أمر بالغ الأهمية لما ذكر تحديدا زمنيا لها ، فقد جاء هذا التحديد ليدل على مدى ضلالهم وغيهم وعدم استجابتهم لنبيهم في هذه الفترة الكبيرة الكافية لاتخاذ القرار والتحول إلى العقيدة الصحيحة والنهاية كانت محتومة وهي " **الطوفان** " .

وعمر نبي الله نوح عليه السلام قبل الإرسال أو بعد الطوفان لا يهمنا هنا ، وإنما الذي يهمنا هو أن تحديد عمر الرسالة (٩٥٠) سنة يزيد على عمر نوح عليه السلام في التوراة وهو(٦٠٠) سنة . . . . .

---

(١) العنكبوت : ٢٤ .

(٢) روح المعاني للإمام الألوسي م ١٠ ج ٢٠ ص ١٤٢ ، ١٤٣ . وقد ذكر الآثار التي تبين سن نوح عليه السلام قبل الرسالة وبعد الطوفان . وذكر غير هذا.ولكن الصحيح تفسير المدة هنا بزمن الرسالة ، ومع أن هناك اختلافات بين المفسرين في تحديد العمر الكلي لنوح عليه السلام إلا أنهم لم ينزلوا به عما حدده القرآن الكريم (٩٥٠) وهذا ما يخالف عمره في التوراة

ثم يستطرد ابن حزم قائلا : (ثم قال – أي سفر التكوين –

" إن في اليوم السابع عشر من الشهر الثاني من سنة ستمائة من عمر " نوح " اندفعت المياه بالطوفان " ثم قال : " إن في اليوم سبعة وعشرين يوما من الشهر الثاني من سنة إحدى وستمائة لنوح . خرج نوح من التابوت – يعني السفينة – هو ومن كان معه . فوجب من هذا ضرورة لا محيد عنها أن " متوشالح بن حنوك " دخل السفينة وأنه مات قبل خروجهم منها بشهرين غير ثلاثة أيام ، وقد قطع فيها وبت على أنه لم يدخل التابوت أحد من الناس إلا نوح وبنوه الثلاثة وامرأة نوح ، وثلاثة نساء لأولاده ، وقد قطع فيها وبت على أنه لم ينج من الغرق إنسي أصلا ولا حيوان في غير التابوت .

وهذه كذبات فواضح – نعوذ بالله تعالى منها – لأن في نصوص توراتهم كما أوردنا – والكلام هنا لابن حزم – أن"متوشالح " لم يغرق ، لأنه لو غرق لم يستوف تمام السنة الموفية ستمائة سنة " لنوح " . وفي نصها أنه استوفاها . وأيضا فهو عندهم محمود ممدوح لم يستحق الهلاك قط ، وأبطلوا أيضا أن يكون قد دخل التابوت إذ قطعوا بأنه لم يدخلها – أي السفينة – إنسي إلا نوح وبنوه الثلاثة ونساؤهم ، وأبطلوا أن ينجو في غير التابوت بقطعهم أنه لم ينج إنس ولا حيوان في غير التابوت ، ولابد " لمتوشالح " من أحد هذه الوجوه الثلاثة) [١] .

---

(١) الفصل لابن حزم [١ / ٢١٠ ، ٢١١] .

وابن حزم بهذا يحصي على الفكر الديني اليهودي من خـــلال " توراة اليهود " مجموعة صور من الاضطرابات لا صـــورة واحـــدة فيما يختص بهذه القضية " **الاضطراب في أعمار البشر** " .

ب – اضطراب التوراة في ذكر مدة بقاء بني إسرائيل في مصر :

ويعرض ابن حزم لاضطرابات التوراة في هذه القضية فيقول : (وبعد ذلك قال – أي سفر الخروج – : " وكان مسكن بني إســـرائيل بمصر أربعمائة وثلاثين سنة (٤٣٠) فلما انقضـــت هـــذه الســـنون خرج ذلك اليوم معسكر السيد من أرض مصر " .

وينتقد ابن حزم هذا قائلا : (.. يقول هاهنا إن مســـكن بنـــي إسرائيل في مصر بمصر أربعمائة سنة وثلاثون ، وقد ذكر قبـــل أن " فاهاث " بن " لاوي " دخل مصر مع جده يعقوب – عليه الســـلام – ومع أبيه لاوي ومع سائر أعمامه وبني أعمامه ، وأن عم " فاهـــاث " ابن " لاوي " المذكور كان مائة سنة وثلاثـــة وثلاثيـــن (١٣٣) . وأن "عمران بن فاهاث بن لاوي " المذكور كان عمره مائة وسبعا وثلاثيـــن (١٣٧) وأن " موسى بن عمران بن فاهاث بن لاوي " المذكور كان إذ خرج ببني إسرائيل من مصر مع نفسه ابن ثمانين (٨٠) .

هذا كله منصوص كما نذكره في الكتاب الذي يزعمونه التـــوراة فهبك أن " فاهاث " دخل مصر ابن شهر أو أقـــل ، وأن " عمـــران " ابنه ولد بعد موته ، وأن " موسى بن عمران " ولد بعد موت أبيه ليس

يجتمع من كل ذلك إلا ثلاثمائة عام وخمسون عاما (٣٥٠) فأين الثمانون الباقية من جملة أربعمائة سنة وثلاثين سنة (٤٣٠) .

فإن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف – عليه السلام – بمصر قبل دخول أبيه وإخوته ، قلنا : قد بين في التوراة أنه كان إذ دخلها ابن سبع عشرة سنة (١٧) ، وأنه كان إذ دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة (٣٩) فإذَنْ كان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنين وعشرين سنة (٢٢) ضمها إلى ثلاثمائة سنة وخمسين (٣٥٠) يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة (٣٧٢) .

أين الثماني والخمسين (٥٨) الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة (٤٣٠) سنة ؟ . إنه لابد أن يسقط من هذه المدة سن " فاهاث " إذ ولد له " عمران " وسن " عمران " إذ ولد له " موسى " عليه السلام . والصحيح الذي يخرج على نصوص كتبهم : أن مدة بني إسرائيل مذ دخل " يعقوب " وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى – عليه السلام – لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشر (٢١٧) عاما . وهذه أكذوبة – والقول لابن حزم – في مائتي عام وثلاثة عشر(٢١٣) عاما

ولو لم يكن في توراتهم إلا هذه الكذبة وحدها لكفت في أنها موضوعة مبدلة ...) [١] .

وهذه أيضا صورة من صور الاضطراب تضاف إلى صور

---

[١] الفصل لابن حزم [١ / ٢٥٢ ، ٢٥٣] .

اضطراب الفكر الديني اليهودي .

على أن هذه الصور ليست كل ما لدينا ، فثمة العديد من الصور التي تؤصل لهذه الخصيصة وتشهد لها .

أسباب اضطراب الفكر الديني اليهودي :

لم تكن ظاهرة اضطراب الفكر الديني اليهودي من الظواهر "العفوية" التي تفرض نفسها على الساحة بحيث تستعصي على التعليل وتأبى إلا أن يسلم بها لخروجها عن دائرة التفسير ، كما لم تكن قضية زجت بها الأقدار في الأوساط الدينية والفكرية ، وإنما هي ظاهرة لها أسبابها العديدة ودوافعها القوية التي حتمت ظهورها في هذه الأوساط.

ولعلنا إن تأملنا ما سبق من نصوص سقناها في معرض الشرح والتأصيل لخصائص الفكر الديني اليهودي بوجه عام وأمعنّا فيه النظر سوف نتعرف على العديد من هذه الأسباب التي تأدت بهذا الفكر إلى ظاهرة الاضطراب . وأرى أن أجملها فيما يلي :

(أ) تغلغل العنصر البشري في نصية التوراة وهو ما يمكن أن يطلق عليه التحريف بصوره المختلفة سواء أكان بالزيادة أو بالنقص ، أو بالإبدال [١] أو بالوضع ، أو بتحريف السند . واليهود

---

(١) تحريف التوراة قضية ثابتة لا يمكن التشكيك فيها ، وثبوتها ليس فقط ثمرة دراسة إسلامية ، وإنما أيضا ثمرة رؤى وتصورات نقدية غربية . فضلا عن ثبوتها بالقرآن والسنة . راجع حول هذا المعنى كتاب من قضايا التوراة د. محمد شلبي الشتيوي ص ٦٨ - ١١٧ مكتبة الفلاح . الكويت ط (١) ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م . والظاهرة القرآنية لمالك بن نبي . والملل والنحل للشهرستاني . تحقيق محمد سيد كيلاني [١/ ٢١٢] مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

يتبادلون الاتهامات بتحريف التوراة بدليل رفضهم للتوراة السامرية [1]

(٢) إخضاع الدين للعوامل النفسية والسياسية مما أدى إلى تكييف صياغة التوراة مع الأحداث التاريخية المرحلية في حياة اليهود.

(٣) امتياز الأحبار " علماء اليهود " بحق تفسير التوراة دون سواهم ، الأمر الذي يعطيهم حق الإضافة وتحكيم الهوى .

(٤) كتابة التوراة على فترات متباعدة ، إضافة إلى تعدد المصادر التي استقيت منها ، فقد أشار موريس بوكاي إلى هذه التعددية المصدرية إذ ذكر أن (الكتاب المقدس كان تراثا شعبيا في بداياته الأولى وقد استقى هذا التراث عناصره من الغناء والأناشيد ، والروايات والأساطير ، والأمثال والحكم ، إلى جانب بقايا محفوظة من تشريعات وأحكام التوراة لدى بعض الكهنة) [2] .

كما يشير إلى أن هذا التراث الشعبي قد (تناقلته الجماعات والأجيال عن طريق الأسرة والمعابد في شكل روايات تقص تاريخ بني إسرائيل) [3] .

وهذا ما أقره ول ديورانت [4] وجمع الشواهد لتأييده .

---

(١) وأشار إلى هذا ابن القيم في كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٢٠١ المكتبة القيمية ط (٢) ١٣٩٩هـ .

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم : موريس بوكاي ص ٢٠ وما بعدها بتصرف .

(٣) نفس المرجع ص ٢٠ بتصرف وراجع : الإسلام والأديان دراسة مقارنة ص ١٣١ .

(٤) قصة الحضارة : ول ديورانت [٢ / ٣٨٥] .

(٥) الاعتماد على الذاكرة في النقل والتوثيق .. والذاكرة دائما موضع شك وحذر واتهام ما لم تكن مؤيدة بالكتابة ، وخاصة أن اليهود أمة لم تشتهر بقوة الحافظة أو الذاكرة كالعرب الذين تميزوا بهذه الميزة واختصوا بهذه الخصيصة .

وكثيرا ما يطرأ على الذاكرة من عوامل تدعو إلى النسيان أو الإسقاط فضلا عن أن الاعتماد عليها دون وثيقة مكتوبة لا يكون مأمون العواقب ، وعندئذ يكون الإضافات أو الانتقاصات أمر محتمل فإذا ما قام عليه الدليل صار قضية محتومة لا تقبل نقاشا أو جدلا .

ونبي الله موسى – عليه السلام – كما يقول ابن القيم – (لم يبد لبني إسرائيل من التوراة إلا نصف سورة ، وقال الله لموسى عن هذه السورة : " تكون لي هذه السورة شاهدة على بني إسرائيل ، ولا تنسى هذه السورة من أفواه أولادهم " .

وأما بقية التوراة فدفعها إلى أولاد هارون وجعلها فيهم وصانها عمن سواهم ، فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلا من التوراة .

فلما رأى " **عزير** " أن القوم قد أحرق هيكلهم ، وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ، ورفع كتابهم ، جمع من محفوظاته ومن الفصول التي

يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم . ولذلك بالغوا في تعظيم عزير غاية المبالغة ، وقالوا فيه ما حكاه الله عنهم في كتابه)[1] إشارة إلى قول الله تعالى : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)[2] .

كانت هذه هي الأسباب التي أدت إلى اضطراب مصادر الفكر الديني اليهودي اضطرابا لا يصل فحسب إلى درجة التوتر ، وإنما إلى التناقض والتضاد اللذين يُخيِّمان بغيومهما على العهد القديم وليطعنا في نسبة التوراة إلى الله تعالى ، إذ أن هذه التوراة ليست هي توراة موسى عليه السلام الحقيقية كما رأيت .

---

(١) هداية الحيارى : ابن القيم ص ٢٠٦، ٢٠٧ وراجع الأجوبة الفاخة عن الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي تحقيق د. بكر زكي عوض ص ١٨٦ شركة سعيد رأفت للطباعة ط (٢) ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

(٢) التوبة : ٣٠ . وتكملة الآية : (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِم يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) وينبه ابن القيم أنه ليس المراد به عزير في قول الله تعالى (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ..) البقرة : ٢٥٩ وإنما المراد به: عزرا الوراق.كما هو معروف عند اليهود والنصارى ، ويذهب أنه إن ثبت أن اسمه عزير فلا أكثر من أن تكون موافقة اسمية فقط . المصدر السابق .

لقد كانت ظاهرة " **اضطراب الفكر الديني اليهودي** " تمثل مأزقا حرجا للبابوية الكَنَسية – وكانت قد تعهدت من قبل بحماية اليهود – لما تنطوي عليه من " تناقضات صارخة " ، ولما وجِّه إليها من انتقادات حادة ، ولأنها تمثل المدخل إلى النصرانية .

وهذا في حد ذاته سوف يضع النصرانية في حرج ، ويضع دعاتها في مأزق الشك والاتهام إذا لم تتحرر من هذه القيود التي ألقت بظلالها على مستقبل النصرانية في العالم .

على أن هذا الاتجاه لم يحرر النصرانية من ذات المشكلات ، لكنها ثورة لإنكار ما يمكن إنكاره ، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه من المصير المحتوم الذي ينتظر النصرانية مثلما انتظر اليهودية فكشف زيفَها وألاعيبها وافتراءاتِها وأباطيلَها على لسان نقاد من أهل الديانتين على السواء التزموا الحَيْدة والموضوعية .

ومع هذا لم تسلم النصرانية من النظرات الناقدة لما تنطوي عليه من قضايا تتناقض مع صحيح المنقول ، وصريح المعقول .

ورغم هذا حاول "جريمي كوهن" تسجيل هذا الموقف التاريخي النصراني من اليهودية إذ يقول : (نزعت الكنيسة في بواكير عهدها ، اتباعا لتعاليم القديس أغسطين إلى التسامح مع اليهود . كما قامت البابوية تقليديا بحمايتهم . ولكن في القرن الثالث عشر ، تغير هذا

الاتجاه كلية . فقد شجب البابا جريجوري التاسع التلمود واليهود الذين تمسكوا بتعاليمه باعتبارهم قد انحرفوا عما جاء بالتوراة ، وبينما أعلنت البابوية استعدادها لمواصلة حماية اليهود " التوراتيون " [١] إلا أن هذا العهد قد أثبت أنه عهد خداع وضار بعد أن صممت البابوية على القول بأن مثل هؤلاء اليهود لم يعد لهم وجود .

وعكس الهجوم على التلمود باعتباره هرطقة تطورا منذرا من الكنيسة في القرن الثالث عشر تزعمته الأنظمة الجديدة للرهبان المستجدين ، وانصبت جهود هذه الكنيسة على استبعاد اليهود من أوربا .

وفي بواكير القرن الرابع عشر أحرق " برنار جوي " التلمود حتى في عدم وجود اليهود – بعد سلسلة من الأحداث التي حرف فيها – وفي ذات الوقت ، وبعد أن أصبح الهجوم على العبرانية الحاخامية [٢] عملا دائم التصاعد لمحاكم التفتيش – على المؤلفات وحرقها – قامت المدرسة الدومنيكية الأساسية لرايموند دي بينافورتي بتضخيم الاتهام الموجه لليهود وتلمودهم بالهرطقة .

وفي غضون عدة عقود ، بعد أن أتم " رايموند مارتيني" كتابه " **خنجر الإيمان** " جمعت جامعة باريس براهينه ونشرتها في المحاضرات اللاهوتية التي ألقاها نيقولاس من ليرا .

---

(١) المتمسكون بالتوراة فقط .
(٢) يشير إلى تدخل الحاخامات القوي في الدين اليهودي ويعتمد الهجوم على آراء الحاخامات وتفسيراتهم .

وحين اتجه نفر من " الدومنيكان والفرينشيسكان " الآخرين إلى اتباع " الأيْدِيُولُوجِيَّة " [1] الجديدة ، وحاولوا غرس فكرة نبذ اليهود من الضمير الأوربي ، واضطلع بهذا الدور رايموند لول في ... لتنصير اليهود ، ودعوته إلى الخلاص ممن يرفضون ...

ومع أن هذه المحاولات لم تفلح في إقصاء اليهود من أوربا – في ذلك الوقت وإن كان قد حدث فيما بعد – فإن استمرار الطريقة التقليدية في المجادلات المناهضة لليهودية كانت تفرض نفسها وبقوة على اللاهوت (الفكر الديني) الكتابي .

وعكف حتى رجال " الدومنيكان والفرنشيسكان" على تأليف كتب من هذا النوع الذي يضم نفس المجادلات من حين لآخر . غير أن استمرار بقاء الاتجاه القديم ضد اليهود لم يخمد ...

وقد فكر كثيرا في الرجوع إلى الأسفار المقدسة لمواجهة الغباء العتيد لليهود – على حد قول المؤلف – لأنه إذا لم يوجد من هو قادر على صد من يهاجمون إيماننا ، فإن الفرصة ستسنح حين ذاك لأعداء الصليب المسيحي للسخرية من بساطة من يؤمنون بالمسيح ، وسيعاني هذا النفر من ضعاف العقول من القضاء على دينهم) [2] .

---

(١) معناها باختصار : الأفكار .

(٢) التاريخ من شتى جوانبه : مطالعات في تاريخ الغرب . إعداد ستيفن أوزمنت وفرانك تيرنر ترجمة د. أحمد حمدي محمود ص ٣٧ – ٤٣ سلسلة الألف كتاب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

وهكذا شهد الصراع بين اللاهوت اليهودي واللاهوت النصراني موجات جدل عاتية ترددت بين جزر ومد أدت في بعض الأحيان إلى مواجهة فعلية بإحراق مؤلفات اليهود ، وخاصة التلمود وتَخَلى البابوية عن مبدأ " **التسامح الأُغسْطِيني** " مع اليهود بحجة أن أوغسطين يحدد هذا المبدأ مع اليهود " التوراتيون " [١] ولم يَعُد لهم وجود في حين لم يَبق إلا اليهود الحاخاميين ، وهؤلاء في نظرهم هم الذين حرقوا التوراة .

على أن اليهود التوراتيين الذين يستمسكون بالأسفار الخمسة لم يسلموا مما وقع فيه الحاخاميون من أخطاء عَقَدِيَّة رهيبة ، فما زلت تقرأ في التوراة عن صفات متدنية للإله ، وإعلاء متصاعد للبشر وخاصة الجنس السامي ، وبالأخص يعقوب عليه السلام . إلى غير ما سقناه لك فيما سبق ، وما لم نسقّه من اتهامات قادِحة فاضحة للأنبياء المعصومين !!

وأيا ما كان فإن الذي نريد تسجيله هنا هذا الموقف الذي لم يقتصر على البابوية فقط ليأخذ صفته الرسمية ، وإنما كانت هناك العديد من المواقف الصارمة ضد اليهودية النقد الحاد واللاذع للفكر

---

(١) والغريب تحول البابوية من هذا الموقف إلى موقف التسامح مع اليهود ، والذي أقره قرارات المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني (١٩٦٥م) والذي نص على " تبرئة اليهود من دم المسيح " . راجع كتاب تنصير العالم د. زينب عبد العزيز ص ٧ دار الوفاء بالمنصورة ط أولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

الديني اليهودي .

ولا غرو فإن هذا الاضطراب دفع العديد من علمـــاء اليــهود أنفسهم إلى توجيه سهام النقد اللاذع لما حوته اليهودية مــن عنــاصر فكرية تداعت بسبب التناقض والتضاد بفعل التحريف والوضع .



الفصل السابع

خصيصة التطور

تعد " **خصيصة التطور**" واحدة من أخطر الخصائص التي اختص بها الفكر الديني اليهودي ، لأنها تسهم بشكل فعال في تضخيمه إذ لازمته في كل مراحله من النشأة وحتى الاستقرار على ما هو عليه ، فقد صاحبت مراحل تكوينه" وساهمت إلى حد كبير في اضطرابه وانحرافه ، وإبرازه بهذه الصورة التي برزت فيها عناصر التناقض السافر والاختلاف الحاد " مما كان مثارا للشك" ومدعاة لجدل طويل نشأ في القديم واحتدم في الحديث .

ولم يكن هذا الجدل مقتصرا على المغايرين لليهود ، وإنما تجد عناصر متعددة من اليهود وإلى جانبهم النصارى ، أثاروا قضاياه ووجهوا سهام النقد إليها .

تطور الأفكار أم تطور الدين ؟

ومما ينبغي التنبيه إليه ونحن نعالج هذه القضية أننا ننوه بأنه ليس المقصود بتطور الفكر الديني ما كان منه منبثقا عن المصادر الأصيلة لليهودية ، وإنما عن الأفكار التي انبنت عليها هذه المصادر ذاتها والتي تضخمت فيها حتى أوقعت اليهودية في أزمة دينية خطيرة هددت كيانها كدين إلهي .

والقارئ لنصوص العهد القديم يجده غنيا بعناصر فكرية بشرية

تنبثق منه أو ينبني عليها ، ولما كـــانت الأفكـــار تتطـــور ، وتتشـــكل بتيارات البيئة وتتأثر جزرا ومدا برؤاها وتصوراتها ، ولما كانت تبدو بدائية شعبية ترتبط بالأرض ثم تترقى إلى أن تسمو بعنصـــر الخيـــال إلى الأسطورة فتحلق في السماء تجد قضاياه الدينية تتصاعد ثم تهبط ، ثم تتصاعد ثم تهبط ، وظلت بذلك حائرة تائهـــة بيـــن عوامـــل المـــد والجَزْر لا تعرف استقرارا حتى في فترات تطورها وثباتها .

وقد مر الفكر اليهودي وإن شئت فقل المصادر المتعددة للفكـــر اليهودي بمراحل متعددة تتبين فيما يلي :

[أ] الإغراق في الوثنية والأفكار البدائية .

[ب] مرحلة سمو حاولت التخلص من مظاهر الوثنية واتجهت إلى الاعتراف بإلٰه واحد ، إلا أن صورة الإلٰه في هذه الفـــترة كـــانت غير متكاملة وكان الإلٰه يظهر فيها بصورة مخجلة لا تليق به كإلٰه !!

[ج] الارتداد إلى الوثنية ، وإشباع النهم اليهودي الملـــح فـــي تركيبة اليهود النفسية والعقدية .

[د] الارتقاء والعودة إلى التوحيد وفي هذه المرحلـــة كـــانت صورة الإلٰه خاضعة للحس المادي مقيـــدة بالظـــهور والـــنزول مـــع الإسرائيليين والسكن بينهم والقتال معهم ، والمجاهرة لهم في اليقظـــة والجلوس والحديث معه في الرؤى ، وارتباط ظهوره بعمـــود النار

يظهر الإله من خلاله .. وهنا يظهر " **إلوهيم** " و " **يـــهوه** " ليشــكلا الفكر الديني اليهودي بفترات تاريخية يشكلها كلا الإطلاقين في حيـــاة اليهود ، وهما يعكسان رضى الإسرائيليين عن الرب وغضبهم عليـه ، ويمثل " إلوهيم " لهم فترة الانكسار والعجز والانهزامية ، أما " يـهوه " رب الجنود – كما يزعمون – يمثل لـــهم فـــترات العـــزة والغلبـــة والنصر !!

وكأنك تقف أمام إلٰهين لا أمام اسمين أو إطلاقين لإلٰه واحـــد . لأن طبيعة الإلٰه في الأول تختلف تماما عن طبيعته في الثاني .

وهذا ما أضفى على الإلٰه اليهودي هالات من الغموض ، ومـــا أوقف النقاد حائرين أمام هذا التصور اليهودي المتذبذب الذي هو إلـــى " الإثنينية " [1] أقرب منه إلى الوحدانية .

التطور الذي نعنيه :

والتطور الذي نعنيه ليس تطور اليهودية كدين أطلق على ديانـة نبي الله موسى عليه السلام ، وإنما على اليهودية بعد إتمـــام رســالته وانتهاء نبوته أو اليهودية بعد التحريف ، والتي وجد العقـــل البشـــري والفكر البدائي والوثني والتيـــارات العقائديـــة المتضـــادة المتهابطـــة والمتسامية الطريق إليها .

---

[1] وقد فصلنا القول في هذا في الفصل الخاص بقابلية الفكر الديني اليهودي للتأثر . وقد أومأ الإمام الشهرستاني إلى هذا [١ / ٢١٢] .

على أننا لسنا من دعاة تطور الدين ، فالدين الإلٰهي ثابت لا يتطور ، إن هذا التطور من الممكن أن يكون مقبولا ومستساغا ، بل وواقعيا إذا ارتبط بالأديان البدائية والوثنية أو الوضعية بوجه عام ، ويكون مرفوضا وغير واقعي إذا ما ارتبط بدين إلهي .

وسوف نتحدث عن هذا فيما بعد .

لماذا تطور الفكر إذن ؟

إننا عبرنا عن تطور اليهودية بتطور الفكر لا بتطور الدين ، وإن كان من الأولى طبقا لهذه القياسات أن نطلق عليها تطور الدين باعتبار مسحته البشرية وإن كان يتمتع بالأصل الإلٰهي . لأنه انبنى في مرحلة صياغته وكتابة مصادره بعد موت نبي الله موسى عليه السلام وضياع التوراة الحقيقية على النظرات العقلية والمؤثرات البيئية .

أضف إلى هذا أننا لا نريد أن نضيف هذا التطور إلى اليهودية كدين حتى لا يتوهم البعض أننا نُروِّج لنظرية تطور الدين أو ندعو إليها أو على الأقل نتأثر بها .

والتطور الذي نعنيه هنا وإن كان تطورا إلى " **الأرقى** " فلا يعني أنه تطور إلى " **الأصح** " .

فثمة فرق كبير بين هذين الإطلاقين" الأرقى " و " الأصح " .

" **فالأرقى** " لا يتضمن الصحة ، وإنما يتضمن النقلة والامتياز .

فمثلا تترقى بعض العقائد إلى " الإثنينية " لتخلع ربقة الوثنية أو التعددية . وتتخلى عن نظرياتها وعقائدها ، وإن كانت الإثنينية لم تتخلص بعد من مظاهر الوثنية ، فلا يعقل ألا يقال على من يقول بإلهين أنه غير وثني وإنما يقال هو ترقي في درجة الوثنية إلى أن اعتقد بإلهين فقط لا بثلاثة أو أكثر وهذه النزعة كانت هي السائدة في هذه البيئات والبيئات المجاورة لها، والتي أثرت تأثيرا عميقا على اتجاهات اليهود العَقَدِيَّة.

كما يمكن في ضوء هذا القياس أن يطلق الترقي على الاعتقاد بإله واحد ذو مظهرين " الشمس " في السماء و " الملك " على وجه الأرض كما اعتقد اخناتون [1] وكما هو الحال في العقائد القائلة بإلهين إله للخير ، وإله للشر. أو إله للنور وإله للظلمة وهذه عقيدة "الزرادشتية "!!

لكن لا يمكن أن يطلق على هذا الترقي بحال من الأحوال أنه صحيح أو أصح ، إن كلاهما غارق في الوثنية لكن الفرق بينهما أن نظرية " **تعدد الآلهة** " تعد في الحضيض من الوثنية أما " الاثنينية" فتبدو في مرحلة أعلى في سلم هذه الوثنية .

ومما يؤكد هذا قول بعض الباحثين [2] :

---

(1) الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان د.محمد عبد الله دراز ص ٢ بدون تاريخ .

(2) د. محمد البهي في كتابه الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي هامش ص ٥٩ دار غريب للطباعة ط (٦) ١٤٠٠هـ / ١٩٨٢م . ويبدو أن د. البهي لم يكن متأثرا بهذه النظرية وإن كان يعرض معطياتها للاستفادة بها في الاستدلال وقد أسقطنا من هذه الفقرات الفقرة الخاصة بالقرآن الكريم تنزيها له عن توهم نسبة التطور إليه . لأنه المحفوظ من التحريف والتبديل والتغيير . قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الحجر آية : ٩ .

(من وجهة النظر التطورية في معالجة الأديان ، يلاحظ أن الديانات الفطرية أو ما تعرف بالبدائية ، أكثر تعبيرا عن إلهها إذا كانت موحدة ، أو آلهتها إذا كانت معددة بما ظاهره يفيد المشابهة . كما يلاحظ أن أرقى الديانات أقلها في ذلك ..

ولا يكاد يوجد في الديانات البدائية ديانة موحدة ، لأن من خواص الديانة البدائية أن تكون محلية ، فلكل بلد أو إقليم إله تضغى عليه مزايا البلد أو الإقليم ، ولكل جماعة أو طائفة إله تضفي عليه مزايا الجماعة والطائفة . والجنس الواحد من البشر إن اشتركت أقاليمه أو طوائفه عن عبادة الإله المحلي لها) .

وهذا ما ينطلق على اليهودية لأنها تقول بإله " **خاص** " وهو ما يمكن أن يسمى " **بالإله القومي** " أو "المحلي"، وليس معنى هذا أننا نقول بأن اليهودية ديانة بدائية ، وإنما نقول هي ديانة إلهية (على افتراض صحة التسمية مع أن هناك خلافات حول صحتها) تأثرت – بفعل التحريف – بعقائد البدائيين وأساطيرهم .

وهذا يدل على مدى الهبوط في مستوى الإدراك اليهودي وقصور العقلية اليهودية عن التسامي في تصورها للإله الحق (فمصادرها النصية توجد بها عبارات كثيرة يميل ظاهرها إلى المشابهة بين الله والإنسان أو على الأقل تشعر بذلك.وقد اعتمدت جماعة المشبهة من اليهود على

مثل هذه الكلمات في التوراة في اعتقادها بالتشبيه إلى جانب ما لها من استعداد فطري لذلك) [١] .

أما " الأصح " فيطلق على فكرة فاقت فكرة مناظرة لـــها فـــي الصحة ، إلا أن كلا الفكرتين صحيح ، كما هو الفرق بيـــن الراجـــح والمرجوح فكلاهما صحيح ، لكن لا يستســـاغ شـــرعا ولا عقـــلا أن أترك الراجح للمرجوح ، أو الأصح للصحيح فهذا تواطؤ وهبوط فـــي الأفكار ، وإنما طبيعة الأفكار التسامي والترقي في درجة الصحـــة لا في هبوطها وتدنيها .

والقول بإله واحد قسمة عقلية لا تقبل التفاوت في الصحة ، كما لا تقبل تسامي الأغيار فالله تعالى واحد لا يشـــاركه فـــي وحدانيتـــه أحد قال تعـــالى : (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) [٢] .

فأحدية الله تعالى ليست كواحدية غيره لأن أحديته لا تتألف مـــن أجزاء أما أحدية غيره فتتألف من أجزاء [٣] .

وفي اعتقادي أن التطور قد يكون في " التدين " باعتباره فعـــلا صادرا عن الإنسان ، وما يصدر عن الإنسان يكون عرضة للترقي

---

(١) المرجع السابق .
(٢) سورة الإخلاص .
(٣) وهذا ما يمكن استنباطه من تفسير الإمام الرازي لكلمة " أحد " . مفاتيح الغيب م ١٦ ج ٣١ ص ١٦٤ دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

ووفقا لذوقه العام ووسائله الإدراكية ، فقد يدرك أن ما يعبده من أوثان فكرة خاطئة ، ثم يترقى إلى غيرها فيعبد إلهين ، ثم يتيقن خطأ هـــذه العقيدة فيتطلع إلى عبادة معبود واحد .

أما ما يصدر عن الله تعالى فهو ثابت الأصول والقواعـد ، وإن كان يقبل التطور من جهة مسائله الشرعية فقـط لمواكبـة تطـورات العصور والمستجدات التي ترد معالجتها إلى أصوله وقواعده وقياساته وخاصة إذا ما كان دينا عالميا .

واليهودية ديانة محلية وليست عالمية فالقول بتطور شـرائعها على هذا النحو مستبعد شرعا ، وإن كان جـائزا عقـلا [١]، لأنـها موقوتة تنتهي بموت نبيها ، أما العقيدة فهي بعيدة كل البعد عن التطور لأنها ثابتة الأركان والقواعد .

ولكن عقيدة اليهود في توراتهم وكتبهم المسماة بـ " المقدسـة " تتأرجح وتتذبذب ، وترتد عن أصلها ، وتعود إليـه عـودا مشـوبا ، وتتصارع عناصرها ، وتتناقض قضاياها ، وتتشاكل مظاهرها.

فهي تستقيم وتنتكس ، وتتسامى وتهبط وهذا ما يتضـح مـن القراءات المستأنية ، والمطالعات الفاحصة للعهد القديـم ونصـوص التلمود .

---

(١) والشرع مقدم على العقل .

على أن هذه التقلبات والتغيرات والانتكاسات ليست في التوراة الحقة التي أنزلها الله تعالى على نبيه موسى عليه السلام مكتوبة ، وقد فقدت ، كما أن هذه التطورات لم تكن في زمن نبي الله موسى عليه السلام إلا ما كان من اليهود من ارتداد إلى الوثنية بعبادتهم العجل والتي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة طه ، أو طلب المجاهرة من الله تعالى كما قصتها سورة البقرة (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) [١] .

وهذا دليل على أن الله تعالى قد حارب فيهم هذه النزعة الوثنية المادية ، وطلب منهم العودة إلى الدين الصحيح والاعتقاد السليم .

قصة التطور :-

يعرض بعض النقاد لمظاهر تطور الفكر اليهودي فيقول :

(تكونت اليهودية [٢] خلال العصور ، وازدحمت بالأساطير ، وامتلأت بتاريخ وهمي وغير حقيقي ، كون خلال أجيال متعاقبة ، وأزمان متفاوتة ، وكان أهم ما يميز اليهود عن غيرهم من الأمم أن تاريخهم أصبح جزءا من عقيدتهم ، وبخاصة فيما يعرف بالقوانين التلمودية ، ومن لم يخضع لقوانين التلمود خضوعا تاما فلا يعتبر يهوديا.

---

(١) البقرة : ٥٧ .

(٢) أكرر التنبيه إلى أن المقصود باليهودية هنا ليست ديانة نبي الله موسى عليه السلام ، وإنما اليهودية بعد التحريف ، حتى لا يتوهم أنني أجوز نظرية تطور الدين ، كما سبق تفصيله .

وقد حاول اليهود في مراحل التطور الاستفادة من الفلسفات الوافدة لتطوير نظريتهم الدينية . وكل ما نظفر به منهم في باب الحكمة هو فلسفات حكمية في صورة شعرية) [١] .

ويستمر في عرض انتقادات أحد النقاد لليهودية بقوله : (ويرى مونك أن الحكماء العبرانيين القدامى كانوا كالعرب الجاهليين تماماً شغفوا بوضع حكمتهم العملية في صورة أمثال وحكم ، وفي الأغلب في صور " شعرية " ويقول : " إن أي دين لم يترك أي مكان فيه لتأملات فلسفية بمعنى الكلمة " ، ويذكر أنه في اجتماعات الحكماء القدامى العبرانيين أثيرت موضوعات فلسفية ، ولكنها عولجت من وجهة نظر دينية وفي صورة شعرية ، ويعطي أمثلة لهذا كتابيه (أمثال سليمان ، وكتابه أيوب) .

وقد تضمن هذين الكتابين آثاراً من تفكير خارجي قد وصل إلى كتب العبرانيين المقدسة ، ونفي اليهود إلى بابل ، وهناك تأثروا بلا شك بالكلدانيين وبالفرس في طريق حياتهم ، بل في معتقداتهم الدينية ، وقد نفذت معتقدات (الزند أوفستا) في إصحاحات العهد القديم حزقيال وزكريا ودانيال وتركت آثاراً يستطيع الباحثون في العهد أن يجدوها بسهولة ، حقاً كانت " الزند أوفستا " لا تدعو إلى التوحيد المطلق ، وإنما تدعو إلى الإثنينية ، ولكنها كانت أيضاً تحارب الوثنية

---

(١) الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية . د. علي سامي النشار وعباس أحمد الشربيني ص ٥ ـ ٩ بتصرف .

ولهذا فضلها اليهود وقرءوها ، وانعكست كثير من عناصرهـــا فـــي العهد القديم .

كما أن الروحية التي كانت تشع في الديـــن الفارســـي جعلـــت اليهود ينجذبون إليها ، وينفتح مجتمعهم المغلق لكثير من عناصرهـــا . وقبل عامة اليهود كثيراً من عناصر ديانة الزرادشـــتية ، وأصبحـــت جزءاً لا يتجزأ من عقائد اليهود .

وأقبل اليهود على الثقافة اليونانية يتذوقونها ، ولأول مرة فـــي تاريخ اليهود يقابلون حكمة عليا أسمى من تراثهم ، فتأثروا بها أشـــد تأثير ، كانت التوراة قد ترجمت إلى اليونانية في ترجمتها المشـــهورة السبعينية ... وكان لابد لبعض المترجمين أن يخوضوا في التـــأملات الفلسفية وكانت غايتهم أن يرفعوا من قدر دينهم في عيون اليونان)[1].

وعن الدراسات النقدية لليهودية يقول :

(ذهب " فيلون " إلى نظرية تتحكم فيـــها الفلســـفة اليونانيـــة ، وتتضاءل ، وتكاد تختفي النظرية اليهودية الدينية : إن الموجود الإلهي في نظر " فيلون " هو الكمال المطلق ، ولا يمكن أن نعلمـــه بـــإدراك عقلي أو بمعنى أدق أنه لا يدخل في نطاق العقل الإنساني ، وتتـــهار في فلسفة فيلون التشبيهات الغليظة وصور التجسيمات التـــي أوردهـــا العقل القديم ، ولقد ذهب فيلون إلى أبعد حد في التفسير الرمزي بحيث

(١) المرجع السابق ص ٩ .

تكاد تنقطع صلته بالتوراة إنه يقرر كل تشبيه ورد في التوراة إنما يجب أن يؤول ، كما أن الله عنده ليس إله العبرانيين أو الإسرائيليين فقط وإنما هو إله العالم والناس جميعاً) [1] .

وهذه قصة التطور الديني والفكري لليهود عبر العصور ، ونلاحظ من خلال هذه التقريرات النقدية والمعطيات العقلانية لتتبع مراحل الفكر الديني اليهودي وتطوره ما يلي :

(١) إن اليهودية قد مرت بفكرة [2] التوحيد عبر فلسفات مادية وثنية قبست منها ما غير وجهها ، وطمس عقيدة التوحيد فيها ، أو على الأقل أشابها وشوهها .

(٢) إن هناك تبرما وامتعاضا من الفكر اليهودي أظهره بعض النقاد مثل " فيلون " إلى درجة ألجأته إلى " **التفسير الرمزي**" للعهد القديم ليذيب كل العلائق التي أحاطت فكرة التوحيد وعلقت بها ، وليهدم كل النظريات الأسطورية والخرافات اليهودية التي انبنت عليها عقائدها الكبرى .

(٣) إن اليهودية بما حوته من أفكار أسطورية وعقائد خرافية تداعت أمام الفلسفات العقلية المتزنة ، لأن هذه الفلسفات كانت أرقى منها في نظرتها للإله الحق .. إنه الكمال الإلهي المطلق في مقابل

---

(١) نفس المرجع .

(٢) أعبر هنا عن التوحيد اليهودي بأنه فكرة لأنه لم يرق بعد إلى عقيدة التوحيد الحقة التي جاء بها أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام .

التجسيمات والتشبيهات والإخضاعات والتحكمات المادية اليهوديه في فكرة التوحيد !!

(٤) وأيا ما كان فإن عقيدة الإله قد تسامت في اليهودية عنها في الديانات الوضعية السائدة آنذاك إلا أنها لم تكن متسامية بالنسبة للإسلام .

(٥) وبالرغم من هذا فإن الفلسفة العقلانية توجب ترشيح العقائد اليهودية ، وتنقيحها لأنها لا تتلائم مع المنطق ولا تتوافق مع الواقعية والعقلانية ، فضلاً عن تناقضها مع العقيدة الحقة .

على أن هناك نظرية عامة في معالجة قضية تطور الدين تبناها العقاد وأخضع لها الدراسات الدينية خاصة فيما يتعلق بقضية الاعتقاد يمكن أن تطق عليها " تعميم العقائد نظراً لما تقتضيه مصالح الدول والحضارات الكبرى " .

وهذه النظرية بحتة أذابت فوارق الدين ، وأصهرت قضاياه المتعددة والمختلفة ، ونسجت منها نسيجاً واحداً يرتقي بها إلى أن يكون ديناً عاماً يحفظ الدولة من التنازع الديني الذي يستقطب الشعب إلى جماعات متناحرة ، مما يقف عقبة كأداء تتهدد أمنها واستقرارها .

وهو ما يمكن أن يطلق عليه الآن عملية " تسييس الدين " أي إخضاع الدين للسياسة وإصهاره في نظرياتها ورؤاها وتصوراتها ،

وهذا الاتجاه هو السائد في سائر الأوساط الغربية والشرقية ، وإن كان في بعض الأحيان يتوسع ليشتمل تذويب الفوارق الدينية الكبرى تفاديا لما ينشأ عنها من ظواهر العنف – على حد زعمهم – باسم التسامح الديني أو الحوار بين الأديان [١] .

وفي هذا الصدد يقول العقاد : (... إن تعميم العقائد المشتركة كان مرتهناً بقيام الدول الواسعة التي تطوي فيها عقائد القبائل والشعوب وتتجاوز أطرافها حدود الأمة الواحدة ، ونسميها في عصرنا هذا بالإمبراطوريات . والدول التي كان لها – وهذا في القديم – القسط الأوفى من المساهمة العامة هي مصر ، وبابل ، والهند والصين واليونان واليابان) [٢] .

وفي ضوء هذه المقدمة يسير العقاد في عرضه لمظاهر تطور اليهودية [٣] قائلا :

(ومثل بني إسرائيل – أو العبرانيين مثل جميع الأمم الغابرة في تطور العقيدة . فقد دانوا زمناً بعبادة الأسلاف كما دانوا بعبادة

---

(١) راجع في هذا الإسلام في عالم متغير . أ . حسين أحمد أمين ص ١٦٧ مطبعة أطلس ١٩٨٨م . وراجع الحوار بين الأديان لوليم سليمان . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م. فقد تبنيا إلى جانب العديد من المفكرين هذه الحركة المغرضة .

(٢) كتاب الله : الأستاذ عباس العقاد ص ٣١ . والعقاد من أنصار نظرية " تطور الدين " وفي ذلك يقول : (فالتطور في الديانات محقق لا شك فيه ولكنه لم يكن على سلم واحد متعاقب الدرجات) ص ٢٤ . وفي اعتقادي أن هذا القول يطلق فقط على الديانات الوضعية أما الإلهية فلا .

(٣) هي في نظرنا نحن اليهودية المحرفة ، وليست الديانة الحقة .

الأوثان وظواهر الطبيعة وطواطم الحجارة والأشجار والحيوانـــات . وبقيت فيهم عبادة الأوثان بعد دعوة إبراهيم عليــه الســلام وظــهور الأنبياء ، فعبدوا " عجل الذهب " في سيناء ، بعد خروجهم من الديــار المصرية .

وفي الإصحاح الثامن عشر من كتاب الملوك الثاني أن حزقيـــا ملك يهوذا " ... أزال المرتفعات وكسر التماثيل وقطع الســـــواري وسحق حية النحاس التي عملها موسى لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يوقدون لها ... "

وجاء في الإصحاح التاسع عشر من كتاب صموئيــل الأول أن إحدى زوجات داود عليه السلام – ميكال – " أخذت الترافيم ووضعتــه في الفراش ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه وغطته بثوب " .

والمعروف أن الترافيم أو الطرافيم بصيغة الجمع هي تمـــاثيل على صورة البشر تقام في البيوت وتحمل في السفر ، ويرمز بها إلــى الله .

وقد دعاهم نبي الله موسى عليه الســلام إلــى التوحيــد ونبــذ الأصنام والأوثان . وقيل إنه – عليه السلام – أول من ســمى الإلــه " يهوه " وهو اسم لا يعرف اشتقاقه على التحقيق ...

وعبدوا الإله باسم " **إيل** " أي القوي في اللغة الآرامية ، ولكــن

الأسماء العبرية تدل على أنهم قد لبثوا زماناً يصفون " الإيل" بالصفات البشرية (١) ويقبلون نسبة القرابة الإنسانية إليه . كما في اسم عمائيل من " العمومة " أو " إيل أب " من الأبوة ، وغير ذلك من أواصر الأسرة البشرية .

وظلوا إلى ما بعد موسى عليه السلام ينسبون إلى الإله أعمال الإنسان وحركاته . فذكروا أنه يتمشى في الجنة ، وأنه كان يصارع ويأكل ويشرب ويخشى مركبات الجبال . وأنه دفن موسى حينما مات في موآب) (٢) !!!

ويلفت العقاد النظر إلى "الإله القومي" لليهود وأن عبادة غيره من الآلهة التي كان يعترف اليهود بوجودها للأمم المغايرة كانت تعتبر خيانة عظمى لليهود كخيانة الوطن ، لأن إلههم ارتبط بالأرض والجنس ، وفي هذا يقول :

(كان معنى الكفر في الإسرائيلية الأولى كمعنى الخيانة الوطنية في هذه الأيام . فكانت للشعوب آلهة يؤمن الإسرائيليون بوجودها ، ولكنهم يحرمون عبادتهم كتحريم الانتماء إلى دولة أجنبية . فرَبُّ الشعب أحق بولائه وعبادته من الأرباب الغرباء) (٣) .

---

(١) وقد أشار إلى هذا ابن القيم في كتابه إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان تحقيق محمد سيد كيلاني [٢ / ٣٣٢] ط مصطفى البابي الحلبي بدون تاريخ .
(٢) كتاب الله . أ . العقاد ص ٨٢ ، ٨٣ .
(٣) نفس المرجع ص ٨٤ .

وأعتقد أن هذه كانت أسمى صورة من صور الإله في مراحل الفكر العقدي اليهودي ، وتلاحظ أنها منوطة بالاعتراف بآلهة أخرى ، مع إعطاء الحق لغير اليهود في الإيمان بها !!!

وللأسف فإن أسمى صورة لليهود في تفكيرهم الديني تتبني على أساس تعدد الآلهة !!! وإن كانوا يؤمنون بإله واحد من بينها!!

وبالرغم من هذا فإن إيمانهم بالإله الواحد كان ملوثاً بالوثنيات والماديات .

(فتفكير الأنبياء – عليهم السلام – لم ينتج لليهود رأياً جديداً عن طبيعة الله وصفاته أو علاقة الإنسان بالله وحسب ، بل أنتج طرازاً شعرياً جديداً من الأدب مقفى يؤثر في النفس ويستهويها.) [١]

وقد ظلم بعض النقاد من المستشرقين نبي الله موسى عليه السلام عندما قال : (إن موسى – عليه السلام – كان يعبد إلهاً واحداً مع وجود آلهة آخرين . وكذلك كانت الحال مع نبي الله داود عليه السلام ، فكان " يهوه " في نظره هو إله العبرانيين وحسب) [٢] .

ومنشأ خطئهم أنهم نظروا إلى نبي الله موسى وداود عليهما السلام من خلال التوراة المحرفة لا من خلال كتبهم الحقة الصادقة التي فقدت أو حُرفت .

---

(١) موسوعة مصر القديمة . سليم حسن [٩ / ٥٥٠] .
(٢) المرجع السابق .

فموسى وداود عليهما السلام لم يكونا يعترفا أو يدعوا إلى إلـــه " قومي " أو " جنسي " وإنما كانا يدعوان إلى إله عالمي واحــد – وإن كانت رسالتهما قومية – فقومية الرسالة لا تعني قومية الإله ، وإنمـــا تعني تعدد الرسالات من إله واحد .

وعلى كلٍ فإن (هذه الرابطة الوثيقة بين الإله والأرض لم تكن بصنعة خاصة عبرانية في أصلها ، بل قد اعترف بـــها معــاصروهم" وقد بقيت الحال كذلك حتى بزغ فجر عصر الأنبياء وعندئذ بـــدأ إلــه العبرانيين " يهوه " مجاله بوصفه في بادئ الأمر **إلهاً قبلياً** ينعم بإنزال العقاب الصارم على الغاشمين من المصريين الظالمين لقومه ، وبعـــد ذلك أصبح **إلهاً شعبياً** مبيحاً إبادة الآموريين والكنعانيين ، وأمر بذبـــح المئات من مناهضيه من الكهنة ، ومن ثم رفع إلـــى مرتبـــة فريـــدة بوصفه الإله الواحد الفرد في العالم الذي من صفاته الحب والرحمـــة والعدالة والغفران .

على أنه من الصعب أن نفسر هذا التطور ، فعلى حسب نظـــام الفكر القديم كان المفهوم أنه عندما تسود قبيلة في التغلب على أخـــرى كان يسود كذلك إله هذه القبيلة ، أو البلد الغالب فيصبح معبـــود البلـــد المقهور .

غير أن أنبياء العبرانيين – عليهم السلام – حرروا إلههم مـــن هذه القهرية وفسروا نصر الآشوريين عليهم بأنه انتقام من " يهوه "

منهم مستعملا " آشور " إله الآشوريين كآلة انتقام وبذا ساد إله اليهو- العالم كله)[1] .

بمعنى أنه أصبح أسمى صور الآلهة الموجودة آنذاك .

تأملات ناقدة :

ولاحظ معي أن الإله قد مر في هذه الرؤية الوصفية بعدة مراحل :

المرحلة الأولى : القبلية " **إله القبيلة** " (أي بني إسرائيل) .

المرحلة الثانية : الشعبية " **إله الشعب** " . ولاحظ هنا أنه إله اليهود بوجه عام وليس إله بني إسرائيل فقط .

المرحلة الثالثة : التوحيد " **إله واحد** " يتغلب على السنن السائدة آنذاك بسيادة إله الغالب وتبعية المغلوب .

وبهذا يتضح مدى تغلغل خصيصة " التطور " في الفكر الديني اليهودي .

---

(1) موسوعة مصر القديمة : سليم حسن [٩ / ٥٥٠] .

الفصل الثامن

خصيصة الحَدْس

الفصل الثامن

خصيصة الحدس

تعد " خصيصة الحَدْس" واحدة من أبرز الخصائص التي أثرت بقوة فاعلة في تشكيل جوهر الفكر الديني اليهودي ، وتحديد اتجاهاتـــه ومراميه ، ففارقت بذلك جواهر الحق وتدنت إلى مستويات الإدراكات الفجائية والتصورات الفجة [١].

وأرى أن أبين معنى الحدس ومترادفاته قبل أن نتناول إبـــراز جوانب هذه الخصيصة الخطيرة للفكر اليهودي .

تعريف الحدس :

من معاني الحدس في اشتقاقاته اللغوية ما يلي :

[" حَدَس " في الأرض – حدساً : ذهب على غير هداية . و – فـــي السير : أسرع ومضى على غير استقامة .

وفي الأمر : ظن وخمن . وفي الشئ : حزره [أي قدره] . و– علــى فلان ظنه : لم يحقق أمله فيه . و– الكلام على عواهنه : ألقـــاه دون تحقق من صحته .

---

(١) التي أنشأت عن غير تجربة سابقة ، فهي بسيطة لا تتسم بالعمق أو إن شئت فقل هي لـون من الأفكار الباهتة .

و- الشئ برجله : داسه ووطئه ، و- فلانا بسهم ونحوه : رماه بـــه .

و- الناقة وبها : أناخها و- أناخها وضربها بسكين في منحرها .

والشاة : أضجعها للذبح ..

و " **الحَدْس** " : إدراك الشئ إدراكا مباشرا . و- الفراسة يقال : قالـــه بالحدس .

" الحدْسية " مذهب يقول باعتماد المعرفة على الحدس .] (١) .

إطلاقات الحدس :

من خلال تأملنا للتعريف اللغوي للحـــدس نســتطيع أن نحـــدد بعض إطلاقاته فيما يختص بموضوعنا ومن هذه الإطلاقات ما يلي :

١- يطلق على الذهاب والسير على غير هدى واستقامة .

٢- التخمين والظن " وإطلاق الكلام على عواهنــــه دون تـــرو أو تدقيق أو تأمل أو نظر .

٣- وهو إن أطلق على الحق فيعني وطأ الحق وإناختـــه للـــهوى وذبحه بالباطل .

٤- يطلق ويراد به المذهب المعرفي القائم على الحدس والتخميـــن والظن .

---

(١) المعجم الوسيط [١ / ١٦٠ - ١٦١] مادة (ح.د . س) وقد تناول يوسف كرم وهو يتحدث عن ديكارت هذا المذهب باعتباره أحد المنـاهج الفلسفية التي انبنت عليها فلسفة ديكارت في كتابه : تاريخ الفلسفة ص ٦٣ دار المعارف ط خامسة ١٩٨٦م .

وكل هذه الإطلاقات تدور حول معنى واحد هو اعتماد التصورات الفجائية البدائية التي لم تخامر العقل ، ولم تعانق النظر السديد في التفكير المعرفي أو الفلسفي .

خطورة الحدس :

ناهيك عن تفكير معرفي يقوم على التخبط والعشوائية وعدم التحليل والتدقيق والتمحيص في مهايا الأشياء وكنهها .

فتفكير يقوم على هذا النهج حتما سيعتمد على الرؤى الواهية والتصورات العقلية الساذجة التي لم تخضع للاختبار ، ولم تكن محكا للتجربة .

الأمر الذي يجعل قيامه على الأساطير والخرافات والأباطيل بجانب مسحات من الحق أو بتجرده منها أمرا ممكنا غير مستبعد إن لم يكن حتميا

فضلا عن أن " الحدس " لا يعتمد على قيود تدرأ التناقض وتدفع اللبس والاختلاط ، كما أنه ليس له حدود تحفظ نتائجه الحدسية بحيث لا تتعداها إلى دائرة الحق ، إنه يجعل من إيراد الباطل دون الحق ، والغث دون الثمين ، والردئ دون الجيد أمرا ممكنا ، أو على الأقل يجعل منهما خليطا متداعيا تطمس فيه المعالم وتضيع فيه الحدود والفوارق وتذوب المهايا والجواهر . ويصبح للحق بذلك وجهين باطل ، وحق ، كما يصبح للباطل كذلك وجهين حق وباطل !!

على أنه قد جاء في معنى الظن ، وهو أحد إطلاقات الحدس أنـــه يراد به : (الاعتقاد الذي يقارنه تجويز النقيض) (١) .

ولا يخفى ما لهذا النمط من المعرفة من خطورة بالغة على الاعتقاد فإن الظان (إذا ظن صفة من صفات الإله عز شأنه فإنه يجوز نقيضـها ، وهو نقص ، ولا يجوز النقص عليه سبحانه) (٢) .

والظن لا يفيد القطع ، وإنما يكون مدعاة للشك والريب ، وهـــو (أي الظن) إلى النفي أقرب منه إلى الإثبات ، وإلى الخطـأ منـه إلـى الصحة ، لأنه يتجرد من الدليل والبرهان ، إذ لا دليل لـه ، ولا برهـان عليه.

فهو إذن (قول غير مستند إلى برهان) (٣) ترتبت عليـه هـذه الآثار الخطيرة في ميادين المعرفة وإنشاء الأدلة على قضايا العقيدة .

---

(١) وهذا فحوى تفسير الرازي للآية ٤٦ من سورة البقرة . مفاتيح الغيب م٢ ج٣ ص ٤٧ . على أن الظن قد يطلق على العلم في بعض آي القرآن الكريم . ولكن السياق هو الذي يحدد المعنى . ويوجه الرازي هذا في تفسير (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) البقرة : ٤٦ فيقول: (وسبب هذا المجاز أن العلم والظن يشتركان في كون كل واحد منهما اعتقادا راجحا إلا أن العلم راجح مانع من النقيض والظن راجح غير مانع من النقيض فلما اشتبها من هذا الوجه صح إطلاق اسم أحدهما على الآخر) . وهو بهذا يترك الفصل بينهما للقرينة التي يحتوي السياق .

(٢) تفسير الإمام الألوسي م ٤ ج ٥ ص ١٢ .

(٣) مفاتيح الغيب للإمام الرازي م ٩ ج ١٧ ص ٧٥ .

إننا إذا ما قرأنا نصوص العهد القديم و التلمود وتأملنـــا بعيـــر فاحصة ونظرة ثاقبة مضاميها العقديـــة والتشـــريعية علـــى الســـواء وطبقناها على معاني الحدس السابقة سنجدها تشمل كثرة هائلـــة مـــن المتناقضات ، والمنفيات والمحظورات التي تشبعت بالفكر الأســطوري والتصور الفجائي ... الأمر الذي يستدعي الاستهجان والاســتغراب ، بل والإنكار .

فإن الفكر الديني اليهودي قد اشتمل على كثير من " الحدسـيات" أو المظنونات في صياغة عقيدة اليهود بعد وفاة نبي الله موسى عليـــه السلام ، مما أدى إلى ترسيب عناصر البدائيات التي تؤصـــل للفكـــر الوثني ، مما جعلها في معظم الأحيان تنطوي على الخرافات .

ويكفينا من الأدلة على ذلك ما سقناه في نقد خصيصة الأسطورية فقد اشتملت على كثرة هائلة من التوهمات والتخرصـــات [١] التـــي جعلت إخضاع الدين اليهودي للحس النقدي أمرا محتما لا مفر منه ولا مناص عنه .

فقد نسبت إلى الله تعالى صفات الحوادث ، ووصفته بصفـــات النقص ، وسلبت منه تعالى صفات الكمال . كما سلبت مـــن الأنبيـــاء عليهم السلام كل كمال بشري يليق بنبوتهم .

---

(١) الكذب .

وقد سبق أن بينا هذا بالتفصيل ، ولسنا في حاجة لإعـــادة مـــا ذكرناه هناك من أمثلة تجنبا للتكرار .

على أن هذا الظن كان منهجا يهوديا هدمـــه القـــرآن الكريـــم والسنة الشريفة ، وأقام الأدلة على فساده وانحرافه ، وقد وصفـــهم الله تعالى في قوله (لا يَعْلَمون الكتابَ إلا أمانيَّ وإن هم إلا يظنون)[1].

وقوله تعالى عن اعتقادهم قتل نبي الله عيسى –عليه الســـلام– القائم على الظن :

(ما لهم به من علمٍ إلا اتباع الظنّ وما قتلوه يقينــا) [2] .

وهكذا تتضح خصيصة الحدس وخطورتها على الفكر الدينـــي اليهودي الذي جعل عقائد اليهود (المحرفـــة) ضربـــا مـــن الوهـــم والتخمين الذي يناقش الحق واليقين .

---

(1) البقرة : ٧٨ .
(2) النساء : ١٥٧ .

الخاتمة

الخاتمة

لعلنا نستطيع من خلال هذه الدراسة النقدية لخصائص الفكر الديني اليهودي ، أن نخلص بنتائج علمية تفيدنا في دراستنا للأديان وبحوثنا العلمية في مجال علم مقارنة الأديان تسهم في تكون تصورات معينة ومحددة عن اليهودية من خلال خصائص الفكر الديني اليهودي.

فقد تاهت عقائد اليهود بين الأساطير والخرافات والأوهام ، والحدس والخرص ، والترهات والسفاسف ، والتطور والمادية والسادية والسيكوباتية (العدوانية والعنف الدموي) وانفتاح الفكر الديني اليهودي على العقائد والموروثات البيئية والتيارات الوافدة والاستجابة لدين الغالب . الأمر الذي أدى إلى اضطرابه ، وذبذبته بين اليقين والشك ، وبين الحق والباطل . وخلطه بين المتناقضات والمتضادات .

واندفعت تصورات اليهود بدوافع نفسية قوية ، وسياسية عاتية مثلت أعاصير هبت على قضايا الاعتقاد فأحالتها إلى أساطير عجيبة بلغت من الاغتراب والاعتساف مبلغاً كبيراً .

وهذا مما يفسر تحريف التوراة الحقيقية التي جاء بها نبي الله موسى عليه السلام إذ أن التوراة الحالية تتناقض معها في كثير من قضاياها العقدية والتشريعية .

لقد اختص الفكر الديني اليهودي بخصائص ميزته عن غيره من الأديان . ورسمت ملامحه وحددت أطره ومظاهره جعلته عاجزاً عن الإقناع وسلبته خاصية التأثير ، وهاتان قضيتان جوهريتان يجب توفرهما في الدين الإلهي . لكن تجرد التوراة في معظم الأحيان وفي كثير من مواضعها منهما دليل تحريفها .

على أن هذه الدراسة النقدية غنية بالرؤى والتصورات النقدية التي تتميز بالعلمية والمنهجية مما يحبذ الوقوف عليها قبل البدء في دراسة اليهودية إذ أنها تعتبر مدخلاً لدراستها .

فهي بمثابة الضوء الذي يضئ للباحث ، ويهديه إذا غاص في جنبات الفكر اليهودي ، وتعمق في قضاياه .

والله تعالى نسأل أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا ..

فهو نعم المولى ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المراجع

المراجـــع

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً : السنة الشريفة

[٢] صحيح الإمام البخاري . دار الجيل . بـيروت . بـدون تاريخ .

[٣] صحيح الإمام مسلم . دار إحياء التراث العربي . بيروت ط أولى ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م .

[٤] سنن الإمام الترمذي . مكتبة الرياض الحديثة . البطحـاء الرياض . ودار الفكر للطباعة والنشر لبنان ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

ثالثاً : المراجع العامة

[٥] أباطيل التوراة والعهد القديم . د . محمد البار . دار القلم دمشق . الدار الشامية . بيروت ط أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

[٦] إظهار سر الدم المكتوم للحاخـام نـاوفيطوس ترجمـة توماس البغدادي بذيل كتاب القرابين البشـرية والذبـائح التلموديـة . د. فتحي محمد الزغبي مطبعة غباشي بطنطا ١٩٩٠م .

[٧] أعلام النبوة للإمام أبي الحسـن المـاوردي . المطبعـة النموذجية . نشر مكتبة الآداب ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

[٨] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام ابن القيم . تحقيق محمد سيد كيلاني . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بدون تاريخ

[٩] الله . الأستاذ عباس محمود العقاد . نهضة مصر ضمن سلسلة كلية الأسرة ١٩٩٨م .

[١٠] إنجيل برنابا تقديم السيد محمد رشيد رضا . تعريف د. أحمد حجازي السقا . دار البشير للطباعة القاهرة ١٩٩٥م .

[١١] أورشليم قاتلة الأنبياء . أ.محمود الشرقاوي مكتبة الأنجلو المصرية والمطبعة الفنية الحديثة ١٩٦٨م .

[١٢] الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة للإمام القرافي تحقيق د. بكر زكي عوض . شركة سعيد رأفت للطباعة ط ثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

[١٣] الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية روچيه جارودي ترجمة محمد هشام . تقديم : د. محمد حسين هيكل . دار الشروق ط أولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

[١٤] الأسفار المقدسة في الأديان السابقة على الإسلام . د. علي عبد الواحد وافي . نهضة مصر ١٩٧٧م .

[١٥] الإسلام والأديان د. مصطفى حلمي دار الدعوة ط أولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

[١٦] الإسلام في عالم متغير . أ.حسين أحمد أمين مطبعة أطلس ١٩٩٨م .

[١٧] الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة د. يحيى هاشم فرغل دار المعارف ١٩٨٤م .

* [١٨] بنو إسرائيل د . محمد بيومي مهران دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٩٩م .

* [١٩] تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم أ . محمد عزة دروزة المطبعة العصرية صيدا لبنان ط أولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .

[٢٠] تاريخ الديانة اليهودية د. محمد خليفة . دار قباء للطباعة والنشر ط أولى ١٩٩٨م .

[٢١] تاريخ الفلسفة أ. يوسف كرم دار المعارف ط خامسة ١٩٨٦م .

[٢٢] التاريخ من شتى جوانبه : مطالعات في تاريخ الغرب إعداد ستيفن أوزمنت ، وفرانك تيرنر ترجمة د. أحمد محمد محمود سلسلة الألف كتاب . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .

[٢٣] تفسير الإمام الطبري دار الغد العربي بدون تاريخ .

[٢٤] تنصير العالم .د. زينب عبد العزيز دار الوفاء المنصورة ط أولى ١٣١٥هـ / ١٩٩٥م .

[٢٥] التوراة السامرية ترجمة الكاهن السامري أبو الحسن اسحق الصوري وتعليق د. أحمد حجازي السقا . دار الأنصار ط أولى ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

[٢٦] التوراة . العقل . العلم . التاريخ د. بدران محمد بدران مطبعة القدس ط أولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

* [٢٧] الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي دار غريب للطباعة ط سادسة ١٩٨٢م .

* [٢٨] الحضارة . دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها د. حسين مؤنس ط ثانية عالم المعرفة جمادي الأولى ١٤١٩هـ سبتمبر / أيلول ١٩٩٨م .

[٢٩] الحوار بين الأديان أ. وليم سليمان . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م .

* [٣٠] دراسات في اليهودية : الله والأنبياء في أسفار اليهود د. عبد الله حسن بركات مطبعة الإمام الحديثة ط ثانية ١٩٩٩م .

[٣١] الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان د. محمد عبد الله دراز نشر مكتبة المجلد العربي بدون تاريخ .

* [٣٢] روح المعاني للإمام الآلوسي دار الفكر بدون تاريخ .

[٣٣] رسالة في اللاهــوت والسياســة . اســبينوزا الهيئــه المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م .

* [٣٤] الظاهرة القرآنية أ. مالك بــن نبــي ترجمــة د. عبــد الصبور شاهين . دار الفكر بيروت بدون تاريخ .

* [٣٥] علم اللاهوت الكتابي ترجمة عــزت زكــي نشــر دار الثقافة طبعة دار الجيل . بيروت ١٩٨٢م .

[٣٦] العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفــرد والمجتمــع د. محمد عبد الرحمن بيصار . المطبعة الفنيــة الحديثــة ط رابعــة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م .

* [٣٧] الفصل في الملل والأهواء والنحل للإمام ابــن حــزم الظاهري تحقيق د. عبــد الرحمــن عمــيرة . دار الجيــل بــيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

[٣٨] الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه د. حسن ظاظــا دار القلم ط ثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* [٣٩] قصة الحضارة . ول ديورانت ترجمة أ. عبد الحميــد يونس مطابع الدجوي ١٩٨١م .

[٤٠] قصة الديانات أ. سليمان مظهر مطبعة مدلولي ط ثانيــة ١٤١٣هـ / ١٩٩٨م .

[٤١] القاموس الموجز للكتاب المقدس مكتبة كنيسة الأطـــوة ١٩٨٢م .

[٤٢] القرآن والتوراة والإنجيل والعلـــم . موريـــس بوكـــاي ترجمة الشيخ حسن الخالدي المكتب الإســـلامي . بـــيروت ط ثانيـــة ١٤٠٧هـــ / ١٩٨٧ م .

[٤٣] القرابين البشرية والذبائح التلمودية د. فتحـــــي محمـــد الزغبي مطابع غباشي بطنطا ط أولى ١٩٩٠م .

* [٤٤] كتب الشريعة الخمسة . صادر عن الرهبانية اليســوعية دار المشرق بيروت . بدون تاريخ .

[٤٥] الكتاب المقدس ط الكنيسة المعمدانية . لبنـــان . بـــدون تاريخ.

* [٤٦] مدخل إلى مناهج النقد الأدبي . تأليف مجموعـــــة مـــن الكتاب ترجمة رضوان ظاظا . سلسلة عالم المعرفـــــة . الكويـــت ذو الحجة ١٤١٧هـــ / مايو / آيار ١٩٩٧م .

[٤٧] مشكلات نفسية د. عادل صادق كتاب اليوم الطبي عـــدد ١٠٦ نوفمبر ١٩٩٠م .

[٤٨] مفاتيح الغيب للإمام الرازي دار الكتب العلمية بـــيروت ط أولى ١٤١١هـــ / ١٩٩٠م .

[٤٩] مقارنة الأديان . اليهودية والمسيحية د. أحمد شلبي النهضة المصرية ط سادسة ١٩٨٣م .

[٥٠] من قضايا التوراة د. محمد شلبي الشتيوي مكتبة الفلاح الكويت ط أولى ١٤٠١هـ / ١٩٨٤م .

[٥١] موسوعة مصر القديمة د. سليم حسن . الهيئة المصرية العامة لكتاب مكتبة الأسرة ٢٠٠٠م .

[٥٢] الماضي المشترك بين الإسلام والغرب أ. ل . رانيلا ترجمة د. نبيلة إبراهيم سلسلة عالم المعرفة . الكويت . رمضان ١٤١٩هـ / يناير / كانون الثاني ١٩٩٩م .

[٥٣] المسيحية نشأتها وتطورها شارل جينيبير ترجمة د. عبد الحليم محمود دار المعارف ط ثالثة ١٩٨٨م .

[٥٤] المعجم الوسيط . المجمع اللغوي بمصر .

[٥٥] الملل والنحل للإمام الشهرستاني تحقيق محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ط ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

* [٥٦] نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د. علي سامي النشار دار المعارف ط تاسعة ١٩٩٥م .

[٥٧] هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى للإمام ابن القيم المكتبة القيمية ط ثانية ١٣٩٩هـ .

[٥٨] اليهود في تاريخ الحضارات الأولى . جوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر مطبعة الحلبي بمصر ١٩٧٠م .

الفهـــرس

الفهرس